دعوى تخلف المسلمين
بسبب تمسكهم بالدين، والرد عليها

The claim of backwardness of Muslims due to their adherence to religion, and the response to it

إعداد

د/ موسى بن عبدالله البلوي

الأستاذ المشارك في العقيدة

بقسم الدراسات الإسلامية بكلية الشريعة والقانون

بجامعة تبوك بالمملكة العربية السعودية

دعوى تخلف المسلمين بسبب تمسكهم بالدين، والرد عليها

موسى بن عبدالله البلوي

قسم العقيدة، بقسم الدراسات الإسلامية، بكلية الشريعة والقانون، بجامعة تبوك بالمملكة العربية السعودية .

البريد الإلكتروني : mam_albalawi@ut.edu.sa

الملخص :

يأتي هذا البحث دفاعا عن الفكر الإسلامي؛ من خلال تفنيد الدعوى القائلة بأن تخلف المسلمين سببه تمسكهم بالدين؛ لقطع الطريق على مروجيها، وحماية فكر المسلمين من الانزلاق في متاهات هذه المذاهب الفكرية الضالة، وللمساهمة في بعث روح العلم والعمل في المسلمين، وللتأكيد على السبب الحقيقي في تخلف المسلمين في عصرنا؛ لعلنا نستفيق من سباتنا.

وقد قام على منهجين هما: المنهج الاستقرائي، والمنهج التحليلي النقدي.

ومن نتائجه: أن هذه الدعوى باطلة، ولا حجة للقائلين بها، وأنها ساقطة أمام حقائق التاريخ وشواهد الواقع، وشهادات المنصفين من المستشرقين، وأدلة القرآن الكريم والسنة النبوية، وأن القائلين بها قوم منحرفون فكريا، مفتونون بحضارة الغرب فتنة عمياء، أحالتهم إلى أبواق تردد ما لا تفهم.

وأن السبب الحقيقي في تخلف كثير من الشعوب الإسلامية هو تفريطهم في التمسك بمنهج الإسلام وتطبيقه في شتى مجالات الدين والحياة، وأنه لا يجوز الخلط بين الإسلام وبين الواقع المتدني لكثير من الشعوب الإسلامية، وأن الأمانة العلمية تقتضى أن يكون الحكم على حال المسلمين مبنيًّا على دراسة منصفة لأصول الإسلام ومبادئه، لا على اتهامات وأحكام مسبقة لا علاقة لها بالحقيقة. وأنه يدخل في نواقض الإسلام اعتقاد أن الإسلام هو السبب في تخلف المسلمين.

الكلمات المفتاحية: دعوى ، تخلف المسلمين ، تمسكهم بالدين ، الرد عليها.

The claim of backwardness of Muslims due to their adherence to religion, and the response to it

Musa bin Abdullah Al-Balawi
Department of Doctrine, Department of Islamic Studies, College of Sharia and Law, University of Tabuk, Kingdom of Saudi Arabia .
Email : mam_albalawi@ut.edu.sa

Abstract :
This research aims to defend Islamic thought; By refuting the claim that the backwardness of Muslims is caused by their adherence to religion; To block the path of its promoters, and to protect Muslim thought from slipping into the maze of these misguided intellectual sects, and to contribute to reviving the spirit of knowledge and work among Muslims, and to emphasize the real reason for the backwardness of Muslims in our time; Perhaps we will wake up from our slumber. It was based on two approaches: the inductive approach and the critical analytical approach.
Among its results: that this claim is false, and there is no evidence for those who say it, and that it is invalid in the face of the facts of history, the evidence of reality, the testimonies of fair-minded Orientalists, and the evidence of the Holy Qur'an and the Sunnah of the Prophet, and that those who say it are people who are intellectually deviant, fascinated by the civilization of the West, blindly, which has turned them into the mouthpieces of some frequency. you do not understand.
The real reason for the backwardness of many Islamic peoples is their negligence in adhering to the Islamic approach and its application in various areas of religion and life, and that it is not permissible to confuse Islam with the low reality of many Islamic peoples, and that scientific honesty requires that judgment about the condition of Muslims be based on a fair study. To the origins and principles of Islam, not to accusations and preconceived judgments that have no relation to the truth. Among the contradictions of Islam is the belief that Islam is the reason for the backwardness of Muslims.

Keywords: Claim , Backwardness Of Muslims , Their Adherence To Religion , Response To It.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد،

فإن الله تعالى أنعم علينا بهذا الدين الحنيف، الذي أكمله وأتم به نعمته، وجعله دستورا لخيري الدنيا والآخرة، وقد سار على منهجه وطبقه المسلمون في عصور الإسلام الزاهرة؛ فأسسوا حضارة لا زالت الإنسانية تتفيأ ظلالها إلى يومنا هذا.

والذي اتفق عليه علماء الأمة أنه لا يمكن أن ينصلح حال كثير من الشعوب الإسلامية التي فاتها ركب الحضارة إلا بالرجوع إلى هذا المنهج العظيم، واتباعه في شتى مناحي الحياة، وقد قال الإمام مالك رضي الله عنه: "وَلَا يُصْلِحُ آخرَ هذه الأمة إلا ما صَلَحَ أَوَّلَهَا"(١)؛ إلا أننا ابتلينا في عصرنا هذا ببعض المنحرفين فكريا، ممن أبهرتهم حضارة الغرب المادية، فأرادوا تقليدها تقليدا أعمى، ونقل تجربتها إلى العالم الإسلامي نقلا حرفيا، لا يراعي ثوابت ديننا وقيمنا؛ فظلوا يرددون في كل مقام – تبعا للمتطرفين من المستشرقين – أن تمسك المسلمين بالدين هو سبب تأخرهم عن ركب الحضارة، وعليهم أن يتخلوا عنه إذا أرادوا النهوض.

والحقيقة أنه لولا ما وصل إليه حال كثير من الشعوب الإسلامية من التردي ما طفت على السطح تلك الأفكار المنحرفة، والتيارات الفكرية الضالة، المهوسة بالفكر الغربي المادي، الذي رأي في التخلي عن دينه المحرَّف الملاذ الآمن والخلاص من الفقر والتخلف؛ فأراد أولئك المنحرفون فكريا أن يستوردوا تلك النظريات الغربية ليطبقوها على الدين الإسلامي

(١) الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض: ٢/ ٢٠٥.

الحنيف المحفوظ بحفظ الله تعالى في قرآنه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم؛ فسولت لهم أنفسهم تقليدا للغرب أن يدعوا زورا وبهتانا أن التمسك بالدين الإسلامي هو السبب في تخلف كثير من الشعوب الإسلامية في عصرنا.

لهذا وجب على المتخصصين أن يفندوا تلك المزاعم والافتراءات الباطلة، ما دام لها أبواق تبثها، وقنوات تنشرها؛ حماية للشباب المسلم المولع بمعرفة كل جديد، في عالم مفتوح يعج بكثير من صور الضلال والانحراف؛ خشية أن ينخدع بتلك الأفكار الضالة؛ ولأن تجاهل الداء حري بأن يساعد في انتشاره، وبعدها يكون العلاج صعبا، ولولا ذلك ما منحنا أصحاب هذه الدعوى الباطلة قيمة الرد عليهم؛ ومن هنا جاءت فكرة هذا البحث: (دعوى تخلف المسلمين بسبب تمسكهم بالدين، والرد عليها).

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى ما يأتي:

١- الدفاع عن الفكر الإسلامي العظيم.

٢- تفنيد تلك الدعوى الباطلة، وقطع الطريق على مروجيها.

٣- حماية فكر المسلمين من الانزلاق في متاهات هذه المذاهب الفكرية الضالة.

٤- المساهمة في بعث روح العلم والعمل في المسلمين، لعلنا نستفيق من سباتنا.

٦- التأكيد على السبب الحقيقي في تخلف المسلمين في عصرنا.

منهج البحث:

قام هذا البحث على منهجين هما: المنهج الاستقرائي: ومن خلاله جمعت قدرا من مزاعم أصحاب هذه الدعوى الباطلة. والمنهج التحليلي النقدي: واتبعته في تحليل كلامهم ونقده والرد عليه بمنطق علمي.

الدراسات السابقة:

بعد بحث دقيق لم أجد أي دراسة تناولت موضوع البحث الحالي بهذا العنوان ولا بهذه المنهجية، وما وجدته إنما هي دراسات في قضايا مختلفة عن التخلف، ومنها:

١- التخلف في البلدان النامية الواقع والتحديات، للدكتور/ خالد مصطفى، وزميله، بحث منشور بمجلة المعرفة، بكلية العلوم الإدارية والمالية، جامعة الزيتونة، ليبيا، عدد (٣)، ٢٠١٦م.

٢- التخلف والتنمية في الاقتصاد الإسلامي، للباحث/ أحمد عواد إسماعيل، وزميلته، بحث منشور بمجلة سُرَّ مَنْ رأى، بكلية التربية، بجامعة سامراء، بالعراق، المجلد (٧)، العدد: (٢٥) السنة السابعة، ٢٠١١م.

٣- عملية تكوين المهارات ودورها في التنمية الاقتصادية في العراق، للدكتور/ فليح حسن خلف، ط/ دار الرشيد، بالعراق، ١٩٨٠م.

٤- آراء المقريزي في التخلف الاقتصادي وأثره على المجتمع للباحثة: وفاء عويد يوسف، بحث منشور بمجلة الدراسات المستدامة، بالعراق، السنة الثالثة، المجلد الثالث، العدد الرابع، ملحق (٣) ٢٠٢١م.

٥- دلالات التخلف عند المقريزي، للدكتورة/ هند مرسي البربري، منشور بالمجلة العلمية لقطاع كليات التجارة بجامعة الأزهر، بالقاهرة، العدد (٢٥) ٢٠٢١م.

** ولم تتعرض أي دراسة من تلك الدراسات أو غيرها لتلك الدعوى الباطلة أو الرد عليها.

خطة البحث:

جاء هذا البحث في مقدمة وأربعة مباحث، وخاتمة.

المقدمة: وفيها أهمية الموضوع، وأهدافه، ومنهجه، والدراسات السابقة، وخطته.

المبحث الأول: مفهوم التخلف.

المبحث الثاني: دعوى تخلف المسلمين بسبب تمسكهم بالدين، عرض وبيان.

المبحث الثالث: الرد على تلك الدعوى الباطلة.

المبحث الرابع: السبب الحقيقي في تخلف كثير من الشعوب الإسلامية.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات. ثم فهرس المصادر والمراجع.

وأسأل الله تعالى التوفيق والسداد، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

*****

المبحث الأول

مفهوم التخلف

لما كان الحكم على الشيء فرع عن تصوره كان لابد من الوقوف على المراد بمفهوم التخلف، قبل التعرض لموضوع تلك الدعوى الزائفة والرد عليها.

والتخلُّفُ في اللغة: التأَخُّرُ(١)، وهو مصدر للفعل (تخلَّفَ)، و(تَخلَّفَ) فعل مطاوع للفعل (خَلَفَ)؛ قال تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا۟ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا۟ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ﴾ [التوبة: ١٢٠](٢)، أَي: ما صح وما استقام لأَهل المدينة ومن حولهم من الأَعراب المؤمنين أَن يتأَخروا عن تلبية دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم إِذا دعاهم إِلى الجهاد في سبيل الله، ولا أن يؤثروا أَنفسهم على نفسه"(٣).

يقال: تخلَّفَ يتخلَّف تخلُّفًا، فهو مُتخلِّف، ومنه: تخلَّف الشَّعْبُ: تأخّر، وتجاوزته الأمم في مضمار الحضارة، ويقال: تعاني معظم الدُّول النَّامية من الفقر والتخلُّف، ويقال: أفكاره متخلِّفة، ويقال: تخلَّف الطِّفلُ عقليًّا: بطُؤَ نموّ عقله، وطفل متخلِّف عقليًّا: نموّه الإدراكي متوقف، وتخلَّف الطَّالبُ في الدِّراسة: رسَب في الامتحان، وتخلَّف عن القوم: قعد ولم يذهب، وتخلَّف عن العمل: تأخَّر عنه. وتخلَّف عن المجيء، وعن المعركة: تقاعس، وعليه

(١) لسان العرب لابن منظور: ٩/ ٨٢، مادة (خلف).

(٢) المعجم الاشتقاقي المؤصل، د/ محمد حسن جبل: ١/ ٥٩٩، مادة (خلف).

(٣) التفسير الوسيط، لمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر: ٤/ ٣٢.

قوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا۟ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا۟ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ﴾[1].

وفي الاصطلاح:

– عُرِّف تخلف المجتمعات بأنه: "حالة متردية تسود المجتمعات البشرية، تتخلل معظم أو كل نواحي ومجالات الحياة، وتؤثر بدورها على أسلوب ونمط حياة هذه المجتمعات، وتجعلها في وضع متدنٍ مقارنة بالمجتمعات الأخرى، وتفرض عليها بالتالي تبعيتها للغير"[2].

– كما عُرِّف بأنه: "الخصائص السلبية التي تعم نشاطات الحياة والمجتمع كله، والمظهر الجامع لهذه الخصائص هو عدم القدرة على سداد الحاجات الأساسية للأفراد أو المجتمع، بسبب انعدام القدرة الذاتية للاقتصاد على النمو والتطور"[3].

ويعد التخلف ظاهرة من الظواهر الاجتماعية السلبية المقيتة، والتي تتحطم على أعتابها آمال الشعوب وطموحاتهم، وتحدث تلك الظاهرة نتيجة مجموعة من الأسباب مجتمعة، يمكن تلخيصا من أحد البحوث المتخصصة فيما يأتي:

"فقدان أو ضعف القيم الدينية والقيم الاجتماعية الداعمتين للعمل والإنتاج، وانتشار الفقر، وانتشار الأمية، ومن ثم نقص الخبرات العلمية،

(١) معجم اللغة العربية المعاصرة، د/ أحمد مختار عمر: ١/ ٦٨٤، مادة (خلف).

(٢) التخلف في البلدان النامية الواقع والتحديات، د/ خالد مصطفى، وزميله: ص٨.

(٣) عملية تكوين المهارات ودورها في التنمية الاقتصادية في العراق، د/ فليح حسن خلف: ص١٤.

وعدم استثمار الموارد الطبيعية، وعدم التوسع في التجارة الخارجية، والفساد الإداري"[١].

ولا يخفى أن "البشرية تعاني في عصرنا من مشكلة التخلف الاقتصادي؛ إذ ينقسم العالم إجمالا إلى مجموعتين، الأولى: مجموعة الدول التي تحتكر المال، والاقتصاد، والإمكانات العلمية، والطرق الفنية للإنتاج، والثانية: مجموعة الدول التي تعاني من نقص المال، وضعف الاقتصاد، والإمكانات العلمية، والطرق الفنية للإنتاج، وقد يبلغ الحال ببعضها إلى عجزها عن توفير الحاجات الأساسية لشعوبها"[٢].

هذه المجموعة الثانية هي مجموعة الشعوب التي توصف بالتخلف في شتى المجالات، وللأسف تدخل شعوب إسلامية كثيرة ضمن تلك المجموعة التي تعاني من نقص المال، وضعف الاقتصاد، والإمكانات العلمية، والطرق الفنية للإنتاج.

وبمفهوم التخلف الذي تقدم ذكره يصح أن توصف هذه الشعوب الإسلامية بالتخلف، والواقع لا يحتاج إلى إثبات.

لكن ما هي أسباب هذا التخلف؟ هل هو التمسك بالدين كما زعم أولئك المنحرفون الضالون، وعلى المسلمين أن يحيدوا الدين من الحياة لكي ينهضوا من سباتهم؟، أم هو التفريط في التمسك بالدين، وعليهم أن يعودوا عودا حميدا إلى منهجه القويم؟ هذا ما أعرض له في الصفحات الآتية.

ولا ريب أن الوقوف على أسباب المرض هو أول خطوات العلاج.

*****

(١) التخلف في البلدان النامية الواقع والتحديات: ص٧٢- ٧٨، بتلخيص.

(٢) التخلف والتنمية في الاقتصاد الإسلامي، أ/ أحمد عواد إسماعيل، وزميلته: ص٢٤٥.

المبحث الثاني

دعوى تخلف المسلمين بسبب تمسكهم بالدين، عرض وبيان

يزعم بعض المنحرفين فكريا من بني جلدتنا تبعا لبعض المستشرقين: أن سبب تخلف المسلمين هو تمسكهم بالدين، وشبهتهم في ذلك: أن الغرب لما تخلوا عن الدين وتحرروا منه وصلوا إلى ما وصلوا إليه من التقدم الحضاري في شتى المجالات، وصرنا نحن تابعين لهم، لا متبوعين[1].

وما زالت هذه الدعوى الزائفة تنشر في بعض المقالات والكتب، وتلقى رواجا فكريا لدى فئة من الناس، في عالم مفتوح على مصراعيه.

وهذه بعض النصوص مما كتبه بعض المعاصرين الداعين إلى تلك الفرية الباطلة:

١- **تحقيق حول كتاب: (دار الإسلام المتهاوية) للألماني: (رُود كوبمانس) بعنوان: هل الإسلام مسؤول عن تخلف المسلمين؟ للألماني (دانيال باكس)** ترجمة: صهيب زمال، منشور بتاريخ: ٤/ ٤/ ٢٠٢٠م، على أحد مواقع شبكة المعلومات.

لخص الكاتب (دانيال باكس) محتوى هذا الكتاب فقال:

"ينضمّ باحث علم الاجتماع الألماني الهولندي (رود كوبمانس) بكتابه: (دار الإسلام المتهاوية) إلى كُتَّابٍ آخرين؛ منهم: بسّام الطيبي، وحامد عبد الصمد و(دان دينر) و(برنارد لويس) و(تِيلو زارّاتسين) و(صاموِيل هنتغتون)، حيث خلص هؤلاء جميعا في كتبهم إلى نتيجة

(١) يراجع: أسئلة وأجوبة عن ألفاظ ومفاهيم في ميزان الشريعة للشيخ العثيمين: ١/ ٤-٩، وحقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، للدكتور/ عبد الصبور مرزوق، وآخرين: ص٦٤٢- ٦٤٤.

مفادها: أن السبب الرئيس في انحطاط العالم الإسلامي هي دينه بالدرجة الأولى، الذي هو الإسلام"[١].

وهكذا، يرى كثير من المستشرقين أن الجمود الذي طرأ على المسلمين عامة يعود قبل كل شيء إلي تشبثهم بدين أصبح لا يترك لهم مجالا للعمل المنتج المفيد[٢].

٢- مقال بعنوان: (هيمنة الدين تُذهِب الحضارة) للكاتب (عمران سلمان)

منشور على أحد مواقع شبكة المعلومات بتاريخ: ٢٧/ ٥/ ٢٠٢٢م.

حيث بدأ مقاله بهذا الافتراء قائلا:

"قلة قليلة من الذين تصدوا لسؤال "لماذا تخلف المسلمون وتقدم غيرهم؟" توقفوا عند الصلة الوثيقة بين هيمنة الدين في مجتمع وبين غياب مظاهر الحضارة في هذا المجتمع. الواقع أن لدينا هنا علاقة طردية بامتياز؛ إذ كلما زاد حضور الدين في المجال العام وسيطرته على مختلف مناحي الحياة، تراجعت الحريات والثقافة والاهتمام بالعلوم والتمدن والحضارة".

---

(١) هل الإسلام مسؤول عن تخلف المسلمين؟ مقال منشور على موقع قنطرة (Qantara.de):

https://qantara.de/ar/node/8665

(٢) من أسباب تخلف المجتمع الإسلامي في نظر بعض المستشرقين، مقال منشور على موقع مجلة دعوة الحق الصادرة عن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، بالمملكة المغربية، العدد ١٦٢.

https://2u.pw/BxWqXhL

وتابع افتراءاته قائلا:

"وهذا الأمر له في الماضي وكذلك الحاضر شواهد، والكثير مما يمكن أن يشار به وإليه؛ وحال المجتمعات العربية اليوم هو أحد هذه الشواهد، بل إنه حتى في التاريخ العربي الإسلامي كانت مظاهر الحضارة والعلوم تنتعش بمقدار ضعف سيطرة الدين على هذه المجتمعات، وتقل تلك المظاهر حتى تنعدم مع تزايد سطوة الدين ورجال الدين.

ولا غرابة في أن العصور التي أصبحت فيها للمذاهب الدينية السيطرة الفولاذية على المجتمعات هي ذات العصور التي يؤرخ لها بوصفها بداية عصور الظلام الإسلامية.

بالطبع، الدين هو جزء من الحياة، ومن غير المتوقع أن يختفي الدين أو أشكال التدين المختلفة في أي وقت قريب، لكن المشكلة هي حين يصبح الدين ناظما وحاكما للحياة في هذه المجتمعات وليس مجرد طريق سريع فيها....

والمشكلة مع الدين تبدأ حين يسيطر على المجال العام، فهو مطلق، وأتباع الدين يفكرون بنفس الطريقة، فهم يتخيلون أنفسهم يقفون على جبل من المطلقات ويطلبون من جميع البشر أن يصعدوا إليهم، فإن لم يفعلوا فليتبوؤوا مقاعدهم من النار ولهم عذاب عظيم.

والأمر الواضح أنه حيثما يسود رجل الدين والتراث الديني تدخل المجتمعات في مرحلة الانحطاط والتدهور، وتميل أخلاق الناس نحو الغلظة والعنف والاعتداء الجنسي أو ما يعرف بالتحرش. هل نحتاج إلى أدلة على ذلك؟ لا أعتقد" أ.هـ[1].

(١) هيمنة الدين تُذهِب الحضارة!، مقال منشور على موقع الحرة:
https://bitly.ws/38gaQ

٣- كتاب بعنوان: (سقوط العالم الإسلامي، نظرة في مستقبل أمة تحتضر) للكاتب (حامد عبد الصمد) منشور عام ٢٠١٦م.

ومما قال فيه: "هناك حالة من الهوس بنصوص القرآن، الإرهابي يبرر أعماله بالقرآن، ومن ينتقد الإرهاب يرد عليه بالقرآن، ومن يريد أن يصلح أحوال المسلمين يستشهد بالقرآن، وكل ذلك يحمل القرآن فوق طاقته، فهو كتاب عقيدة وليس دستوراً أو قانوناً. والقرآن أجاب عن أسئلة الحياة اليومية في زمن الرسول، ولكنه غير قادر على إعطاء إجابات لكل أسئلة العصر الذي نعيش فيه"(١).

ومما جاء فيه أيضا: "نحن لا نحتاج إلى إصلاح، بل إلى إشهار إفلاس. نعم، لقد استنفدنا كل رصيدنا من بنك الحضارة وأكثرنا من الديون، وآن الأوان أن نشهر إفلاسنا؛ وإشهار الإفلاس يعني عملية جرد نتخلى بها عن حقائب ثقيلة نحملها على ظهورنا فتعوق رحلتنا إلى المستقبل. نحتاج لإعادة تقييم حقائب «التراث» و«الأصالة»، و«ثوابت الأمة»، و«ما علم من الدين بالضرورة»، فننتقي منها ما هو بناء وهام، ونستغني عما يخالف روح العصر ويحول بيننا وبين التفاعل مع العالم"(٢).

٤- مقال بعنوان: (خدعة اسمها النظام الاقتصادي الإسلامي) للكاتب (بابكر فيصل بابكر) منشور على أحد مواقع شبكة المعلومات بتاريخ: ٢٢/ ١/ ٢٠١٨م.

---

(١) سقوط العالم الإسلامي، نظرة في مستقبل أمة تحتضر، لحامد عبد الصمد: ص١٥٦.

(٢) سقوط العالم الإسلامي، نظرة في مستقبل أمة تحتضر، لحامد عبد الصمد: ص١٥٨.

وفيه يقول: "وقد عرف العالم طوال القرن العشرين وحتى اليوم ثلاثة أنواع من الأنظمة الاقتصادية: النظام الاقتصادي الرأسمالي، والنظام الاقتصادي الاشتراكي، والنظام الاقتصادي المختلط. ولكل نظام من هذه الأنظمة خصائصه المميزة، من حيث أحقيّة امتلاك وسائل الإنتاج وتنظيم العملية الاقتصادية ودور الدولة في عملية الإنتاج.

بهذا المعنى العلمي، لا يوجد شيء اسمه النظام الاقتصادي الإسلامي، بل هناك محاولات تجريبية محدودة لتطبيق بعض المفاهيم وإنزال بعض القيم المستخلصة من النصوص الدينية على الواقع الاقتصادي وفقا لفهم فئة من الناس لتلك النصوص ...".

"... الذين يزعمون بوجود نظام اقتصادي إسلامي متكامل يغالطون الواقع ... ثم يقول: "وفوق هذا وذاك، فإنه لا يوجد نص في القرآن يحرم سعر الفائدة ولكنه مجرد اجتهاد من بعض الفقهاء يقابله اجتهاد من فريق آخر يرى أن سعر الفائدة يختلف عن الربا ..."أ. هـ[1].

٥- **مقال بعنوان: (من زاوية أخرى، زيارة جديدة لموضوع الاقتصاد الإسلامي)** لنفس الكاتب، منشور على نفس الموقع بتاريخ: ١٠/ ٤/ ٢٠١٩م.

حيث قال: "الذين يقولون بوجود نظام اقتصادي إسلامي عادة ما يأخذون بأحد الأنظمة الاقتصادية ثم يقومون بنسبته للإسلام".

" ... غير أنني لا أسعى من خلال هذه السطور للعودة مرة أخرى لنفي وجود شيء اسمه الاقتصاد الإسلامي".

" الحديث أعلاه لا يمثل شيئا سوى أمنيات ورغبات متوهمة لم تتجسد في نظام اقتصادي يمكن أن يسمى إسلاميا سواء في الماضي البعيد

(١) مقال منشور على موقع الحرة: https://2u.pw/QDMJ561

أو الحاضر الماثل، فهو مجرَّد كلام إنشائي عام يمكن أن يصدر عن أي جهة، ذلك لأن المدارس الفكرية الاقتصادية عبر التاريخ هدفت لإشباع حاجات البشر الأساسية، لكن الخلاف الرئيسي بينها ظل كامنا في الكيفية التي يتم بها إشباع تلك الحاجات، وهو السؤال الذي لم تتم الإجابة عليه من قبل حزب التحرير الإسلامي.

النظم الاقتصادية الثلاثة التي ذكرناها (الاشتراكية والرأسمالية والمختلطة) سعت لإشباع حاجات البشر عبر صياغة أنواع مختلفة من العلاقات والقواعد والمؤسسات التي ترتكز على منظومات معقدة من الآليات الإدارية والإنتاجية التي تحكم التفاعل بين حاجات البشر والموارد الاقتصادية المتاحة، وهو الأمر الذي يفتقده ما يسمى بالاقتصاد الإسلامي، حيث يكتفي دعاته بإطلاق مقولات وشعارات يعجزون عن تجسيدها في أرض الواقع لأنها لا ترتقي لأن تشكل نظاما بالمعنى المذكور.

ولهذا السبب فإننا نجد أن الذين يقولون بوجود نظام اقتصاد إسلامي عادة ما يأخذون بأحد تلك الأنظمة الثلاثة ثم يقومون بنسبته للإسلام بعد أن يقتطعوا بصورة انتقائية بعض الآيات القرآنية والأحاديث التي تؤيد أحد تلك الأنظمة، وهو ما يفسِّر ادعاء الوزير السوداني بأن النظام المطبق في بلده إسلامي، في الوقت الذي يعرف فيه كل من لديه إلمام بسيط بعلم الاقتصاد أن ذلك البلد يطبق اقتصاد السوق الحر (الرأسمالية) ولا شيء سواه."

"... النظام الاقتصادي الإسلامي ليس سوى وَهْمٌ كبير يعيش في أذهان دعاته ولا وجود له في أرض الممارسة والواقع". ... أ. هـ[1].

هذا، وقائمة الكتَّاب الذين تبنوا هذا الفكر المنحرف من بني جلدتنا تطول، فلذا أكتفي بما ذكر. وجميعهم يصورون الشريعة الإسلامية على أنها

(١) مقال منشور على موقع الحرة: https://n9.cl/my9ai

المصدر الرئيس للتخلف الذي أصاب المسلمين في واقع حياتهم، وينادون في الوقت نفسه باللحاق بركب أوروبا عن طريق نبذ هذا الدين، والتخلص من تراثه الماضي(١).

ونحن وإن كنا نعيب على غير المسلمين جهلهم بالدين الإسلامي ومنهجه العظيم وتاريخه المشرف، وأثره الواضح في بناء الحضارة الإنسانية في كل جوانبها؛ فالخطب أعظم والعيب أكبر على أولئك المنحرفين المهزومين فكريا من المسلمين!!، الذين اتبعوا الفكر الغربي دون تحقيق علمي، ودون أن يكلفوا أنفسهم مجرد النظر فيما كتبه غير المسلمين حول تلك المسألة بالذات.

*****

(١) العلمانية المعاصرة وموقفها من الوحي الإلهي، دراسة نقدية، د/ محمود حربي: ص١٣٢١، والعلمانية وخطرها على المجتمعات الإسلامية، د/ جمال خليفة: ص١٦٦٠، والعلمانية وموقف الإسلام منها، د/ أحمد مصطفى علي: ص٢٧٧.

المبحث الثالث

الرد على تلك الدعوى الباطلة

يمكن تلخيص الرد على تلك الدعوى الباطلة في الآتي:

أولا: تفنيد تلك المزاعم الباطلة:

١- تفنيد ما نشره الكاتب (عمران سلمان) بعنوان: (هيمنة الدين تُذهِب الحضارة!):

لا يخلو سطر مما سطره هذا الكاتب من افتراء واضح على الإسلام وتاريخه، والجهل المركب واضح في كل ثنايا مقاله.

- **حيث قال:** "... الواقع أن لدينا هنا علاقة طردية بامتياز؛ إذ كلما زاد حضور الدين في المجال العام وسيطرته على مختلف مناحي الحياة، تراجعت الحريات والثقافة والاهتمام بالعلوم والتمدن والحضارة ... بل إنه حتى في التاريخ العربي الإسلامي كانت مظاهر الحضارة والعلوم تنتعش بمقدار ضعف سيطرة الدين على هذه المجتمعات، وتقل تلك المظاهر حتى تنعدم مع تزايد سطوة الدين ورجال الدين ...".

- وهذا زعم باطل، ويكذبه التاريخ والواقع.

أما التاريخ: فهو شاهد على حضارات بلغت المدى في التقدم وكان الدين أساسيا في حياتها، كالفراعنة في مصر، وآثار تقدمهم شاهدة، ولا تحتاج إلى دليل. كما أن تاريخ الإسلام شاهد على أن تقدم المسلمين في عصور الإسلام الزاهرة كان في أوج تمسكهم بالدين، ولم يثبت تاريخيا أن المسلمين حين تخلوا عن دينهم تقدموا، والواقع المعاش في عصرنا دليل على ذلك.

وأما الواقع: فها هي اليابان، بلغت من التقدم العلمي والحضاري ما لا يخفى على أحد، دون أن تتخلى عن عقائدها الدينية. فلماذا إذن هذا التزييف ورمي الإسلام بالباطل.

أضف إلى ذلك: أنه لم يكن في تاريخ الإسلام سطوة لرجال الدين مطلقا، إنما كان ذلك للقساوسة والرهبان في أوروبا في عصور الظلام، وهذا يدل على جهل الكاتب بتاريخ الإسلام.

– **وحيث قال:** "... ولا غرابة في أن العصور التي أصبحت فيها للمذاهب الدينية السيطرة الفولاذية على المجتمعات هي ذات العصور التي يؤرخ لها بوصفها بداية عصور الظلام الإسلامية ...".

– **وهذا أيضا قول باطل،** لأن حقائق التاريخ الإسلامي تكذبه، كما أنه مناقض لما يزعمه هو، لأنه يزعم أن السيطرة الفولاذية للمذاهب الدينية في بعض العصور الإسلامية كانت السبب في تخلف المسلمين، والسؤال الآن: أين هي السيطرة الفولاذية للمذاهب الدينية في عصرنا حتى يصاب كثير من المسلمين بهذا التخلف؟!!!

ومن أشد العجب ما افتراه بزعمه: "عصور الظلام الإسلامية"؛ وفضلا عن أنه لم يرد هذه المصطلح على لسان أيٍّ من كتاب التاريخ المسلمين أو غيرهم؛ فإنه لم يحدث في التاريخ الإسلامي أن عاش المسلمون فيما أسماه زورا وبهتانا بعصور الظلام الإسلامية، مهما تردت أوضاع المسلمين، إنما كانت هذه العصور المظلمة في أوربا وقت أن كان المسلمون في أوج عظمتهم الحضارية، وبفضل علومهم خرجت أوروبا من تلك المحنة.

وهذا الفكر المنحرف الذي يتبناه الكاتب إنما هو فكر غربي يريد أن ينقله إلى الساحة الإسلامية، وهي منه براء، ويكفيه – هو ومن على شاكلته – أن يقرأ كتاب: (العلم في تَجلٍّ، مفهوم العلم في الإسلام في القرون الوسطى) للمستشرق: (فرانز روزنتال)[1]، أو كتاب: (قصة الحضارة)،

(١) كتاب: (العلم في تجل، مفهوم العلم في الإسلام في القرون الوسطى) للمستشرق: (فرانز روزنتال)، ترجمة يحيى القعقاع، ط/ المركز العربي للأبحاث، بالدوحة، ٢٠١٩م.

للمستشرق: (ويليام جيمس ديورَانت)[١]، أو كتاب: (حضارة العرب) للمستشرق (غوستاف لوبون)[٢]، والتي أثبتت جميعها بالدليل القاطع كيف كان الإسلام العامل الرئيس في قيام الحضارة الإسلامية، وكيف كانت الحضارة الإسلامية صاحبة الفضل في نهضة أوروبا وإخراجها من الظلام إلى النور.

– **وحيث قال:** "... لكنَّ المشكلة هي حين يصبح الدين ناظما وحاكما للحياة في هذه المجتمعات وليس مجرد طريق سريع فيها ...".

– **وهذا زعم باطل أيضا؛** لأن المشكلة ليست حين يصبح الدين الحق ناظما وحاكما للحياة في المجتمعات، لأن ذلك تحقق في عصور الإسلام الزاهرة، فأنتج المجتمع تلك الحضارة العظيمة التي تأسست عليها حضارة اليوم.

إنما المشكلة حين يكون هذا الدين من وضع البشر، أو يكون محرفا ومبدلا؛ فإنه لا محالة لن يصلح لقيادة الدنيا، ولن يحقق السعادة للناس؛ لأن البشر عاجزون عن الإحاطة بما يصلحهم في الحاضر، فكيف لهم أن يحيطوا بما يصلحهم في المستقبل؟!! هذا الدين هو الذي ينبغي أن لا يطيل المكث في تلك المجتمعات، بل يجب أن يكون مجرد طريق سريع فيها، كما يقول هو.

إنما الدين الإسلامي المحفوظ بحفظ الله تعالى من التبديل والتحريف قرآنا وسنة؛ بعقيدته السمحة، وعبادته الفاضلة، ومعاملاته الحسنة وأخلاقه

---

(١) كتاب: (قصة الحضارة)، للمستشرق/ ويليام جيمس ديورَانت، ترجمة الدكتور/ زكي نجيب محمُود، ط/ دار الجيل، بيروت، ١٩٨٨م.

(٢) كتاب: (حضارة العرب)، للمستشرق (غوستاف لوبون)، ط/ مؤسسة هنداوي للنشر والثقافة بالقاهرة، ٢٠١٢م.

النبيلة، هو الذي يحق له أن يقود الحياة ويحقق للدنيا السعادة والأمن والأمان والرفاهية والتقدم والازدهار.

والسؤال الملح ههنا أيضا: هل المجتمعات الإسلامية المتخلفة في عصرنا يحكمها الدين وينظم كل شؤون حياتها حتى ينادي هذا الكاتب – ومن على شاكلته – بإبعاده عن الحياة؟!!.

– **وحيث قال:** "... والمشكلة مع الدين تبدأ حين يسيطر على المجال العام ...".

– **وهذا أيضا زعم باطل،** وزاعمه لا تتوفر لديه أدنى درجات المصداقية أو الإنصاف؛ لأنه يسوي بين الدين الحق الصحيح – بشهادة الأعداء الألداء – وبين دين حرفته وبدلته أيدي البشر!!!. وهذا إن دل فإنما يدل على أحد أمرين: إما جهل مطبق، وإما حقد دفين.

– **وحيث قال:** "... والأمر الواضح: أنه حيثما يسود رجل الدين والتراث الديني تدخل المجتمعات في مرحلة الانحطاط والتدهور، وتميل أخلاق الناس نحو الغلظة والعنف والاعتداء الجنسي أو ما يعرف بالتحرش. هل نحتاج إلى أدلة على ذلك؟ لا أعتقد".

– **وهذا كذب مفضوح،** ولولا أنه صرح في كلامه عن مقصوده بالدين الذي يريد إقصاءه من الحياة – وهو الدين الإسلامي – لقلت: إنه يقصد ههنا دينا وضعيا؛ لقد تجاوز في هذه العبارات كل حدود الانحراف الفكري، ونحا نحوا من الكذب والفجور، وادعى أن مزاعمه الباطلة أمر واضح ولا تحتاج إلى دليل!!!.

وأيُّ دينٍ هذا الذي يُميل أخلاقَ الناس نحو الغلظة والعنف والاعتداء الجنسي أو ما يعرف بالتحرش؟!! في حدود علمي: حتى الأديان الوضعية لا تدعو لذلك!!.

٢- تفنيد ما نشره الكاتب (رُود كوبمانس) في كتابه: (دار الإسلام المتهاوية)، ولخصه الكاتب (دانيال باكس) في مقال ترجمه: صهيب رمال بعنوان: هل الإسلام مسؤول عن تخلف المسلمين؟:

وملخصه: "أن السبب الرئيس في انحطاط العالم الإسلامي هي دينه بالدرجة الأولى، الذي هو الإسلام".

- **وهذا افتراء محض:** ويكذبه التاريخ، والواقع، وشهادة المنصفين من المستشرقين في حق الدين الإسلامي، وسأذكر جانبا منها فيما يأتي تحت عنوان مستقل.

٣- تفنيد ما ورد في كتاب: (سقوط العالم الإسلامي، نظرة في مستقبل أمة تحتضر) لحامد عبد الصمد:

هذا الكتاب في مجمله ادعاءات وافتراءات، ومحاولة فاشلة لطمس حضارة الدين الإسلامي وتاريخه العظيم، والتشكيك في ثوابته وأصوله، ولا غرو فهي عدوى تصيب كل المفتونين بحضارة الغرب المادية، الجهلاء بعلوم الإسلام.

وفكر هؤلاء يقوم على نزع القداسة عن القرآن الكريم، واعتباره نصا تاريخيا قابلا للنقد، والأخذ والرد، وأنه كان صالحا لزمن الرسول صلى الله عليه وسلم فحسب، ولا يصلح لهذا العصر!!.

- **لأنه في زعمه:** "أجاب عن أسئلة الحياة اليومية في زمن الرسول، ولكنه غير قادر على إعطاء إجابات لكل أسئلة العصر الذي نعيش فيه".

- **وفي زعمه أيضا:** أن الأمة الإسلامية مفلسة، وأنها: "لا تحتاج إلى إصلاح، بل إلى إشهار إفلاس، ... وإشهار الإفلاس يعني عملية جرد نتخلى بها عن حقائب ثقيلة نحملها على ظهورنا فتعوق رحلتنا إلى المستقبل. نحتاج لإعادة تقييم حقائب: «التراث» و«الأصالة»، و«ثوابت الأمة»، و«ما علم من الدين بالضرورة» ...".

هكذا يصور الكاتب ماضي الأمة الإسلامية وحاضرها؛ فهي في نظره مفلسة ليس لها رصيد حضاري، بل تحمل حقائب ثقيلة تعيق رحلتها إلى المستقبل، لذا يجب التخلص منها!! لأنها في نظره مصدر تأخرها عن ركب الحضارة، وهو يعني بذلك كله حتما القرآن الكريم والسنة النبوية!!.

وبالمنطق العلمي نسأله: إذا كان «التراث» و«الأصالة»، و«ثوابت الأمة»، و«ما علم من الدين بالضرورة» مصدر تعاسة الأمة الإسلامية وتخلفها، فأي شيء بقي لها لتبني عليه حضارتها؟!!! وهل تنهض الأمم بغير ثوابت هي مصدر عزها وهويتها؟!!.

إنه يكذب التاريخ والواقع، ويرى أن الحل فيما آلت إليه أحوال الأمة الإسلامية أن تتخلى عن هويتها وثوابتها إذا أرادت أن تنهض إلى المستقبل!!!.

إنه يريد للأمة الإسلامية أن تذوب في حضارة الغرب المادية، فهل هذا يقوله عاقل، فضلا عن مسلم؟!!.

٣- تفنيد ما نشره الكاتب (بابكر فيصل بابكر) بعنوان: (خدعة اسمها النظام الاقتصادي الإسلامي):

- **حيث قال:** "... لا يوجد شيء اسمه النظام الاقتصادي الإسلامي، بل هناك محاولات تجريبية محدودة لتطبيق بعض المفاهيم وإنزال بعض القيم المستخلصة من النصوص الدينية على الواقع الاقتصادي؛ وفقا لفهم فئة من الناس لتلك النصوص ... الذين يزعمون بوجود نظام اقتصادي إسلامي متكامل يغالطون الواقع ...".

وما نشره أيضا بعنوان: (من زاوية أخرى: زيارة جديدة لموضوع الاقتصاد الإسلامي):

- **حيث قال:** "الذين يقولون بوجود نظام اقتصادي إسلامي عادة ما يأخذون بأحد الأنظمة الاقتصادية ثم يقومون بنسبته للإسلام ...".

– **وحيث قال:** "النظم الاقتصادية الثلاثة التي ذكرناها (الاشتراكية والرأسمالية والمختلطة) سعت لإشباع حاجات البشر عبر صياغة أنواع مختلفة من العلاقات والقواعد والمؤسسات التي ترتكز على منظومات معقدة من الآليات الإدارية والإنتاجية التي تحكم التفاعل بين حاجات البشر والموارد الاقتصادية المتاحة، وهو الأمر الذي يفتقده ما يسمى بالاقتصاد الإسلامي" ... "والنظام الاقتصادي الإسلامي ليس سوى وَهْمٌ كبير يعيش في أذهان دعاته ولا وجود له في أرض الممارسة والواقع".

– **وهذه كلها ادعاءات باطلة، ويكذبها التاريخ والواقع:**

أما التاريخ: فآثار المسلمين العلمية والمادية ما زالت ماثلة أمام أعين الدنيا، لا ينكرها إلا أعمى البصيرة.

وأما الواقع: فإن مئات المؤلفات العلمية في الاقتصاد الإسلامي، وعشرات الجامعات والأقسام العلمية المتخصصة في الاقتصاد الإسلامي؛ كل ذلك يدحض تلك الفرية من أساسها، ومن خلال عملية بحث واحدة على شبكة المعلومات تتضح هذه الحقيقة.

– **وأما افتراؤه:** بأن الاقتصاد الإسلامي وَهْمٌ كبير يعيش في أذهان دعاته ولا وجود له في أرض الواقع، وبأن القائلين به عادة ما يأخذون بأحد الأنظمة الاقتصادية ثم يقومون بنسبته للإسلام:

فهو من عجيب الكذب والافتراء والتضليل!!؛ لأن الاقتصاد الإسلامي أصيل وثابت وواقع وتاريخ، وحضارة، والأنظمة الاقتصادية الوضعية هي التي استوردت كثيرا من قواعده ومبادئه، والأدلة على ذلك أكثر من أن تحصى.

– حيث أثبت (المؤتمر الدولي الثامن للإعجاز بمدينة تطوان، والمالية الإسلامية بمدينة برشلونة عام ٢٠١٩م) في تقريره الختامي ما يأتي:

"لم يكتف الغرب باعترافه بأن بعض معاملاته العالمية – والتي حرمتها الشريعة الإسلامية – هي السبب في الأزمة المالية العالمية، كالربا، وبيع الغرر، والميسر، والمتاجرة في الديون، والمضاربات الوهمية؛ بل أخذ يدعو لتطبيق بعض الأدوات الاقتصادية الإسلامية فرضت نفسها في قواميس البنوك الغربية كحل بديل للمنظومة الربوية التي يعيش عليها، كـ "المشاركة"، و"الصكوك "، و"التكافل" وإزالة الفائدة الربوية، أو تخفيضها، لتشجيع الاستثمار؛ ولهذا طالب كثير من الخبراء الغربيين بالأخذ بمبادئ الاقتصاد الإسلامي:

ومن هؤلاء – وجميعهم معاصرون –: (جوزيف ستبتليتز) رئيس لجنة الأمم المتحدة المكلفة بإصلاح النظام الاقتصادي العالمي وحامل جائزة نوبل للاقتصاد، والبريطاني (ويليام بوبتر)، والفرنسي (أوليفي باستري)، والأمريكي (فيليب كوتلر)، والبريطاني (توبي ببرش)، والألماني (فولكر نبتهاوس)، و(جاك أوستري) أستاذ الاقتصاد الفرنسي، وغيرهم. ...

يقول (ميشيل سانتي): "لا حل إلا في المالية الإسلامية ويتساءل: هل يقبل الغرب أن ينقذ نفسه بالمالية الإسلامية؟". ...

وتقول (لورينا تابليوني) خبيرة الاقتصاد العالمية: "اقتصاد الغرب ينهار، والحل هو الإسلام؛ لأن النظام الإسلامي المالي هو الوحيد في العالم الذي لم يتأثر بأزمة العقارات الأمريكية، فإذا حدث الانهيار، فإنه الوحيد الذي سوف يظل على قيد الحياة، والشريعة الإسلامية حرمت استثمار الأموال في المنتجات على أساس الربا، وعمل المال للمال". ...

وقد أعد مركز أبحاث الكونجرس الأمريكي دراسة عن التمويل الإسلامي أشادت بالبنوك الإسلامية، لكونها أكثر صلابة في مواجهة التراجع الاقتصادي العالمي والأزمة المالية الدولية مقارنة بالبنوك التقليدية، وأشارت الدراسة إلى أن التمويل الإسلامي يمثل عجلة للتعافي من الأزمة المالية الدولية، كما توقعت الدراسة بأن تعزز صناعة البنوك الإسلامية

مكانتها في السوق الدولي في ظل بحث المستثمرين والشركات عن مصادر بديلة للتمويل خلال الأزمة الراهنة وفي المستقبل. ...

ومن ثَمَّ، أصدرت الهيئة الفرنسية العليا للرقابة المالية قراراً يسمح للمؤسسات والمتعاملين في الأسواق المالية بالتعامل مع نظام الصكوك الإسلامية في السوق المنظمة الفرنسية(١).

– وحيث قرر ذلك الدكتور/ راشد بن أحمد العليوي في بحثه المنشور في المؤتمر العلمي الدولي (حاجة العالم إلى تفعيل دور الاقتصاد والتمويل الإسلامي في التنمية)، بجامعة الإسكندرية، بالتعاون مع رابطة الجامعات الإسلامية، ٢٠١٨م.

يقول: "ابتدأت الأزمة المالية العالمية عام ٢٠٠٨م من الولايات المتحدة الأمريكية وانتقلت إلى كثير من دول العالم، ولا تزال بعض آثارها حتى الآن، وأفلست فيها دول وبنوك وشركات ومؤسسات مالية مختلفة، ولكن لم يكن لها أثر يذكر على المصارف الإسلامية ونمو صناعة المال الإسلامي. فقد ارتفعت قيمة موجودات البنوك الإسلامية ٢٨.٦% إلى ٨٢٢ مليار دولار عام ٢٠٠٨، مقارنة بنمو نسبته ٦.٨% في البنوك التقليدية حسب قياسات أجراها بنك (إتش إس بي سي)، وتواصل نمو التمويل الإسلامي وبنوكه ومؤسساته ...

وبحسب منظمات ومؤسسات مالية دولية وعالمية عريقة كصندوق النقد الدولي والبنك الدولي و(ميريل لينش) ومؤشرات (داو جونز) الإسلامية وغيرها، فإن الاقتصاد الإسلامي أو تحديداً مؤسسات التمويل الإسلامي كانت الأقل تأثراً بالأزمة المالية"(٢).

---

(١) تقرير عن المؤتمر الدولي الثامن للإعجاز بمدينة تطوان والمالية الإسلامية بمدينة برشلونة، للدكتور محمد بورباب: ص١٩– ٢٢.

(٢) المصارف الإسلامية وسلامتها من الأزمات ودورها في تجنيب البلاد الإسلامية آثارها السلبية، دراسة تطبيقية على الأزمة المالية العالمية المعاصرة، للدكتور/ راشد بن أحمد العليوي: ص٤٥٧، ٤٥٨.

ويقول أيضا: "أدى نجاح الخدمات المصرفية للبنوك الإسلامية بعدد من البنوك العالمية إلى الاستثمار في هذا المجال، حيث تعددت المصارف العالمية التي تقدم خدمات مصرفية إسلامية، مثل مجموعة (هونغ كونغ شانغهاي المصرفية) و(تشيس مانهاتن سيتي بنك)" [١].

وعلى سبيل المثال: "فقد شهدت العاصمة البريطانية في السنوات الخمس الماضية وجود أربعة بنوك إسلامية معاملاتها تتوافق مع المبادئ الإسلامية ، هي المصرف الإسلامي البريطاني، والمصرف الأوربي للاستثمار الإسلامي، وبنك لندن والشرق الأوسط للتمويل الإسلامي، وبيت التمويل الأوربي، كما حرص (٢١) بنكا تقليدياً على خوض تجربة التمويل الإسلامي بتخصيص فروع للمعاملات الإسلامية. ووفق دراسة حول التمويل الإسلامي أعدتها مؤسسة الخدمات المالية الدولية (أي إف إس إل) فإن (لندن) بها سوق ثانوي في الصكوك الإسلامية بتعاملات تصل قيمتها إلى ملياري دولار شهرياً. ... وتأتي (لندن) في المركز الخامس عالمياً في التعامل بالنظام المصرفي الإسلامي بعد (دبي) صاحبة المركز الأول، ثم (كوالا لامبور) في المركز الثاني، ثم (المنامة) بالبحرين ثم (الدوحة) بقطر" [٢].

وفي الختام أقول:

لا أعتقد أن هذا الكاتب – ومن على شاكلته – يجهلون أن هناك فرقا بين الدين الإسلامي، ومنهجه القويم، وبين الواقع المعاصر لكثير من الدول الإسلامية، وأنه لا يضر تعاليم الإسلام شيئا أن لا يطبقها أحد؛ وأن التقصير في التطبيق ليس دليلا على الخطأ في المنهج؛ لأن المنهج قد يكون قويما صحيحا، ويكون الخلل في التقصير أو الخطأ في تطبيقه.

(١) المرجع السابق: ص٤٦٣.

(٢) المرجع السابق: ص٤٦٤.

وهو – وأمثاله – لا يريدون من وراء ذلك كله أن ينفوا عن الإسلام اختصاصه بنظام اقتصادي فريد، كلا، إنما يريدون بهذا الإسقاط أن ينفوا عن الإسلام منهجه العظيم في كل جوانب الحياة، وإرثه الحضاري، وماضيه التليد؛ ليسوغوا لأنفسهم أن ينسبوا تأخر كثير من المسلمين في عصرنا إلى تمسكهم بالدين، الذي لا يملك – في زعمهم – أسباب التقدم والحضارة؛ إذ ليس له نظام اقتصادي عظيم يؤسس لحياة كريمة!!.

كأن الإسلام الذي ملأ طباق الأرض علما في عصوره الزاهرة، وبنى حضارة قامت عليها حضارة اليوم لم يكن له نظام اقتصادي!!، وهل تقوم الحضارة بجوانبها العلمية والفكرية والمادية من غير اقتصاد عظيم؟!!. سبحانك هذا بهتان عظيم!.

ولهذا كله: "لا يجوز الخلط بين الإسلام وبين الواقع المتدني لبعض دول العالم الإسلامي المعاصر، فالتخلف الذى يعاني منه كثير من المسلمين يُعد مرحلة في تاريخهم، ولا يعني ذلك بأي حال من الأحوال أنهم سيظلون كذلك إلى نهاية التاريخ، فقد بدأت دول إسلامية كثيرة في التقدم والازدهار، ولا يجوز اتهام الإسلام بأنه وراء هذا التخلف، كما لا يجوز اتهام المسيحية بأنها وراء تخلف بعض دول أمريكا اللاتينية.

إن الأمانة العلمية تقتضى أن يكون الحكم على حال المسلمين مبنيًّا على دراسة موضوعية منصفة لأصول الإسلام، وليس على أساس إشاعات واتهامات وأحكام مسبقة لا صلة لها بالحقيقة"(١).

*****

(١) حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، للدكتور/ عبد الصبور مرزوق، وآخرين: ص٦٤٢– ٦٤٤، بتصرف يسير.

ثانيا: شهادات المنصفين من المستشرقين:

ومما يبطل دعوى هؤلاء المنحرفين فكريا أن كثيرا من المستشرقين المنصفين قد شهدوا بفضل حضارة الإسلام على الإنسانية جمعاء، وشهاداتهم موثقة في مؤلفات طارت بها الركبان – والفضل ما شهدت به الأعداء –؛ بما يدل دلالة واضحة على أن تمسك المسلمين بمنهج الإسلام كان السبب الأول في بناء هذه الحضارة العظيمة، التي ما زال الناس ينتفعون بخيرها إلى يومنا هذا.

** وأوثر اقتباس هذه الشهادات بنصوصها دون تصرف مني بشرح أو تعليق أو اختصار؛ لأنه من الأمانة العلمية أن تذكر الشهادات بلفظ قائليها، ولأن في ذكرها بنصها تعريف بقيمتها العلمية ومحتواها الثمين؛ حتى لا تبقى حبيسة تلك المصنفات التي قد لا يطلع عليها إلا القلة من المتخصصين.

ومن تلك الشهادات ما يأتي على سبيل المثال لا الحصر:

١- شهادات المستشرق (وليام جيمس [ت١٩١٠م]) في كتابه (قصة الحضارة):

حيث قال: "... ولم يحل عام (٨٥٠م) بعد الميلاد حتى كانت معظم الكتب اليونانية القديمة في علوم الرياضة، والفلك، والطب قد ترجمت إلى اللغة العربية[١]، ... ويدين علم الجبر، باسمه إلى العرب، الذين ارتقوا بهذا العلم الكاشف للخبايا الحلَّال للمعضلات، والمنسوب إلى مؤسسه: محمد بن موسى الخوارزمي (٧٨٠م – ٨٥٠م)، ...[٢].

(١) قصة الحضارة، للمستشرق: (ويليام جيمس ديورَانت): ١٣/ ١٧٩.

(٢) قصة الحضارة: ١٣/ ١٨١.

ويمثل أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني (٩٧٣ – ١٠٤٨م) العالم الإسلامي في أحسن صورة له؛ فقد كان البيروني فيلسوفاً، مؤرخاً، ورحالة، وجغرافياً، ولغوياً، ورياضياً، وفلكياً، وشاعراً، وعالماً في الطبيعيات–وكانت له مؤلفات كبيرة وبحوث عظيمة مبتكرة في كل ميدان من هذه الميادين، ...[١].

وكان المسلمون أول من أنشأ مخازن الأدوية والصيدليات، وهم الذين أنشئوا أول مدرسة للصيدلة، وكتبوا الرسائل العظيمة في علم الأقرباذين[٢]. ... ولا يكاد الطب الحديث يزيد شيئاً على ما وصفوه من العلاج للجدري والحصبة، وقد استخدموا التخدير بالاستنشاق في بعض العمليات الجراحية، ...[٣].

ولم يكن القانون يجيز لإنسان أن يمارس الطب إلا إذا تقدم إلى امتحان يُعقد لهذا الغرض ونال إجازة من الدولة، كذلك كان الصيادلة، وغيرهم من العلماء .... وكان في بغداد وحدها عام ٩٣١ ثمانمائة وستون طبيباً مرخصاً، ... [٤].

وأشهر أطباء هذه الفترة هو أبو بكر محمد الرازي (٨٤٤ – ٩٢٦م) الذي ألف (١٣١) كتاباً نصفها في الطب، ضاع معظمها. ومن أشهر كتبه

(١) قصة الحضارة: ١٣/ ١٨٣.

(٢) أقرباذين: لفظة فارسية جاءت من "كربادن"، وهو دستور الأدوية، والمراد بعلم الأقرباذين: القانون أو الدستور الخاص بتركيب الأدوية. يراجع: تاريخ الصيدلة والعقاقير في العهد القديم والعصر الوسيط، لجورج قنواتي: ص١٤٤، ١٥٨، و تاريخ الصيدلة، لصابر جبرة: ص٩٤.

(٣) قصة الحضارة: ١٣/ ١٨٩.

(٤) قصة الحضارة: ١٣/ ١٩٠.

كتاب (الحاوي وهو كتاب في عشرين مجلداً)، ويبحث في كل فرع من فروع الطب. وقد ترجم هذا الكتاب إلى اللغة اللاتينية، وأغلب الظن أنه ظل عدة قرون أعظم الكتب الطبية مكانة، وأهم مرجع لهذا العلم في بلاد الرجل الأبيض، وكان من الكتاب التسعة التي تتألف منها مكتبة الكلية الطبية في جامعة باريس عام ١٣٩٤م، ... ومن أشهر كتبه في الطب أيضا: في عشر مجلدات يسمى كتاب المنصوري، ... وقد ظل متداولاً في أيدي طلاب الطب في أوربا حتى القرن السادس عشر، ...[١].

ولقد كان الرازي بإجماع الآراء أعظم الأطباء المسلمين وأعظم علماء الطب السريري (الإكلينيكي) في العصور الوسطى، ... وقد علقت في مدرسة الطب بجامعة باريس صورتان ملونتان لطبيبين مسلمين هما: الرازي وابن سينا. وكان أبو علي الحسين بن سينا (٩٨٠ – ١٠٣٧م) أعظم فلاسفة الإسلام وأشهر أطبائه[٢]".

ثم قال: "وجملة القول أن ابن سينا أعظم من كتب في الطب في العصور الوسطى، وأن الرازي أعظم أطبائها، والبيروني أعظم الجغرافيين فيها، وابن الهيثم أعظم علمائها في البصريات، وجابر بن حيان أعظم الكيميائيين فيها. تلك أسماء خمسة لا يعرف عنها العالم المسيحي في الوقت الحاضر إلا القليل، وإن عدم معرفتنا إياها ليشهد بضيق نظرتنا وتقصيرنا في معرفة تاريخ العصور الوسطى، ... ولما أن أعلن (روجر بيكن [ت ١٢٩٢م]) الطريقة التجريبية العلمية إلى أوربا كان بعد أن أعلنها (جابر بن حيان [ت ٨١٥م]) بخمسمائة عام، وكان الذي هداه إليها هو

(١) قصة الحضارة: ١٣/ ١٩٠، ١٩٢.

(٢) قصة الحضارة: ١٣/ ١٩٢.

النور الذي أضاء له السبيل من عرب الأندلس، وليس هذا الضياء نفسه إلا قبساً من نور المسلمين في الشرق"[١].

٢- شهادات المستشرق (غوستاف لوبون [ت ١٩٣١م]) في كتابه (حضارة العرب):

حيث يقول: "وكلما أمعنا في درس حضارة العرب، وكتبهم العلمية، واختراعاتهم، وفنونهم ظهرت لنا حقائق جديدةٌ وآفاقٌ واسعة، ولسرعان ما رأينا أن العرب أصحاب الفضل في معرفة القرون الوسطى لعلوم الأقدمين، وأن جامعات الغرب لم تعرف لها مدة خمسة قرون مورداً علمياً سوى مؤلفاتهم، وأنهم هم الذين مدنوا أوربة مادةً وعقلاً وأخلاقاً، وأن التاريخ لم يعرف أمة أنتجت ما أنتجوه في وقت قصير، وأنه لم يفقهم قوم في الابتداع الفني.

وتأثير العرب عظيم في الغرب، وهو في الشرق أشد وأقوى، ولم يتفق لأمة ما اتفق للعرب من النفوذ، والأمم التي كانت لها سيادة العالم، كالآشوريين والفرس والمصريين واليونان والرومان توارت تحت أعفار الدهر، ولم تترك لنا غير أطلال دارسة، وعادت أديانها ولغاتها وفنونها لا تكون سوى ذكريات، والعرب وإن تواروا أيضاً لم تزل عناصر حضارتهم، وإن شئت فقل ديانتهم ولغتهم وفنونهم، حيةً، وينقاد أكثر من مائة مليون شخص مقيمين فيما بين مراكش والهند لشريعة الرسول.

وثبتت أصول شريعة الرسول وفنون العرب ولغتهم أينما حلت، ولم يدر في خلد أحد من الذين قهروا العرب إقامة حضارة مقام حضارة العرب، وانتحلوا كلهم دين العرب وفنونهم، واتخذ أكثرهم العربية لغةً له، وتقهقرت أمام الإسلام في الهند دياناتٌ قديمة، وجعل الإسلام مصر الفرعونية القديمة

(١) قصة الحضارة: ١٣/ ١٩٦.

التي لم يكن للفرس واليونان والرومان فيها سوى نفوذ قليل عربيةً تامة العروبة، وعرفت أقوام الهند والفرس ومصر وإفريقية لهم سادةً غير أتباع محمد فيما مضى، ولم يعرفوا لهم سادةً غير مسلمين بعد أن رضوا بالإسلام ديناً"(١).

"... ولم يكد العرب يتمون فتح إسبانية حتى بدأوا رسالة الحضارة فيها، فاستطاعوا في أقل من قرن أن يحيوا ميت الأرضين ويعمروا خراب المدن، ويقيموا فخم المباني ويوطدوا وثيق الصلات التجارية بالأمم الأخرى، ثم شرعوا يتفرغون لدراسة العلوم والآداب، ويترجمون كتب اليونان واللاتين، وينشؤون الجامعات التي ظلت وحدها ملجأ للثقافة في أوربة زمناً طويلاً، ...(٢).

"... والإسلام من أكثر الديانات ملاءمة لاكتشافات العلم، ومن أعظمها تهذيباً للنفوس وحملاً على العدل والإحسان والتسامح، والبدهية، ... ومع ما أصاب حضارة العرب من الدثور، كالحضارات التي ظهرت قبلها، لم يمس الزمن دين النبي محمد الذي له من النفوذ ما له في الماضي، والذي لا يزال ذا سلطان كبير على النفوس، مع أن الأديان الأخرى التي هي أقدم منه تخسر كل يوم شيئاً من قوتها"(٣).

"... وإذا كانت هناك أمةٌ نقر بأننا مدينون لها بمعرفتنا لعالم الزمن القديم فالعرب هم تلك الأمة لا رهبانُ القرون الوسطى، الذين كانوا يجهلون حتى اسمَ اليونان؛ فعلى العالم أن يعترف للعرب بجميل صنعهم في إنقاذ

(١) حضارة العرب، للمستشرق: (غوستاف لوبون): ص٣٠، ٣١.

(٢) حضارة العرب: ص٢٨٧.

(٣) حضارة العرب: ص١٣٢، ١٣٣.

تلك الكنوز الثمينة اعترافاً أبدياً؛ قال مسيو (ليبري): لو لم يظهر العرب على مسرح التاريخ: لتأخرت نهضة أوربة الحديثة في الآداب عدة قرون"[١].

"... وعربُ الأندلس وحدهم، هم الذين صانوا في القرن العاشر من الميلاد العلومَ والآداب التي أهُمِلَت في كل مكان، حتى في القسطنطينية، ولم يكن في العالم في ذلك الزمن بلادٌ يمكن الدرسُ فيها غيرُ الأندلس العربية، وذلك خلا الشرق الإسلامي طبعاً، وإلى بلاد الأندلس كان يذهب أولئك النصارى القليلون لطلب العلوم"، ...[٢].

"... وظلت ترجمات كتب العرب، ولا سيما الكتب العلمية، مصدراً وحيداً، تقريباً للتدريس في جامعات أوربة خمسة قرون أو ستة قرون، ويمكننا أن نقول: إن تأثير العرب في بعض العلوم، كعلم الطب مثلاً، دام إلى أيامنا، فقد شُرِحَت كتب ابن سينا في (مونبلية) في أواخر القرن الماضي، ... [٣].

"... وإنه كان للحضارة الإسلامية تأثيرٌ عظيم في العالم، وإن هذا التأثير خاص بالعرب وحدهم، فلا تشاركهم فيه الشعوب الكثيرة التي اعتنقت دينهم، ... والعرب هم الذين فتحوا لأوربة ما كانت تجهله من عالم المعارف العلمية والأدبية والفلسفية، فكانوا متمدنين لنا وأئمة لنا ستة قرون، ... [٤].

(١) حضارة العرب: ص٥٨٨.

(٢) حضارة العرب: ص٥٨٨.

(٣) حضارة العرب: ص٥٨٩.

(٤) حضارة العرب: ص٦٠١.

٣- شهادات المستشرق (هاوارد تيرنر [ت ١٩٨٥م]) في كتابه (العلوم عند المسلمين):

حيث يقول: "لقد أخذ المسلمون على عاتقهم الحفاظ على تراث الثقافات الآسيوية والإغريقية الكلاسيكية والرومانية والبيزنطية والأفريقية المبكرة، وزادوا على ذلك بأن ترجموا معظمها، وكان لممارساتهم الثقافية والسياسية تأثير بالغ على أوروبا الغربية في العصور الوسطى المتأخرة، حيث لعبت المنجزات الإسلامية دوراً رئيسا في تطوير عصر النهضة، وبالتالي في تشكيل المجتمعات فيما بعد، بما في ذلك مجتمعنا الحالي.

وفي خلال القرون الثلاثة الأخيرة أصبح العالم الغربي أكثر دراية بكثير من الأعمال الفنية والأدبية التي أنتجت في المراحل والأماكن الإسلامية المتنوعة. .... والتي اعترفنا بها الآن كأجزاء متكاملة من ميراثنا الثقافي"(١).

ويقول مترجم هذا الكتاب:

"لقد أسس المؤلف (هاوارد تيرنر) كتابه هذا على الاعتراف الكامل بالدور المحوري الذي قامت به الحضارة الإسلامية، والذي حدده في عدة نقاط:

١- جمع التراث الثقافي للعالم القديم (الإغريقي والهندي والمصري والفارسي).

٢- ترجمة هذا التراث إلى اللغة العربية، والتي استوعبته لمرونتها الشديدة وثرائها.

٣- تنقيح هذا التراث وترتيبه وتبويبه وشرحه في مؤلفات عربية.

(١) العلوم عند المسلمين للمستشرق (هاوارد تيرنر)، ترجمة: فتح الله الشيخ: ص٢٩.

٤- إطلاق حرية البحث العلمي والإبداع حتى تكوَّن في صدر الدولة العباسية أول مجتمع علمي عالمي لا يعرف التعصب ولا الاضطهاد العرقي أو الديني أو المذهبي.

٥- إضافة الكثير إلى علوم الأمم القديمة، بل وضع وابتكار علوم جديدة.

والكتاب فوق ذلك موثق بالصور والمراجع الكثيرة للإنجازات التي حققها المسلمون في عصرهم الذهبي، ونقلوها للغرب، وظلت صالحة في خدمة الحضارة الإنسانية والتطور التقني حتى دخول الثورة الصناعية والآلة البخارية بعد المطبعة والاكتشافات الجغرافية العظمى، والكتاب مزود بالعديد من الأحاديث النبوية الشريفة التي تدور حول فضل العلم والعلماء وتحصيل العلم وتعليمه"أ. هـ[١].

وهذا قليل من كثير مما أثبته المنصفون من المستشرقين من الاعتراف بفضل الإسلام والمسلمين على الحضارة الإنسانية إلى يوم الناس هذا؛ مما لا يدع مجالا للشك في أن تمسكهم بالدين الإسلامي وسيرهم على منهجه كان السبب الأول في بناء هذه الحضارة العظيمة؛ إذ إن العرب كانوا أمة أمية لا تقرأ ولا تكتب، وكانت بعثة النبي صلى الله عليه وسلم على فترة من الرسل، في زمان ساد فيه الجهل والظلام، إلا من آثار قليلة عن أمم بائدة؛ فلما جاء الإسلام بهديه العظيم ومنهاجه القويم حرر عقولهم، وأنار بصائرهم، وفتح لهم من العلوم ما لم يسبقهم إليه أحد، فكانوا منارة العلم في وقت كانت فيه أوروبا ترزح في غياهب الظلام. وهذه حقائق تاريخية لا ينكرها إلا جاحد؛ فكيف يقال بعد ذلك إن السبب في تأخر المسلمين في عصرنا هذا هو الإسلام؟!!.

(١) العلوم عند المسلمين للمستشرق، مقدمة المترجم: ص٢١.

** **وهاك طائفة مختصرة من المؤلفات التي أثبتت فضل الإسلام على الحضارة الإنسانية**، ليعرف المنكرون كيف كان الإسلام السبب الأول في تقدم المسلمين وبنائهم تلك الحضارة العظيمة، فتخرس ألسنتهم:

١- (حضارة العرب) للمستشرق (جوستاف لوبون).

٢- قصة الحضارة، للمستشرق (ويليام جيمس ديورَانت).

٣- (فضل الإسلام على الحضارة الغربية)، للمستشرق/ (مونتجومري وات).

٤- (شمس العرب تسطع على الغرب) "أثر الحضارة العربية في أوربة" للمستشرقة (زيغريد هونكه).

٥- (العلوم عند المسلمين، مقدمة مصورة)، للمستشرق/ (هاوارد تيرنر).

٦- (جهود العلماء المسلمين في تقدم الحضارة الإنسانية)، للأستاذ خالد بن سليمان الخويطر.

٧- (دور الحضارة العربية الإسلامية في تكوين الحضارة الغربية)، للدكتور/ محمد أبو حسان.

٨- (أثر العلماء المسلمين في الحضارة الأوربية)، للدكتور/ أحمد علي الملا.

٩- (أثر العرب في الحضارة الأوربية)، للأستاذ/ عباس العقاد.

١٠- (الإسلام والحضارة الغربية)، للدكتور/ محمد حسين.

١١- (تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس)، للدكتور خليل السامرائي، وزميليه.

١٢- (أطلس الحضارة الإسلامية)، للدكتور/ إسماعيل راجي الفاروقي، وزميله.

١٣- (الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية)، للدكتور/ توفيق الواعي.

١٤- (عطاء الإسلام الحضاري)، للأستاذ/ أنور الجندي.
١٥- (لوحات مضيئة في الحضارة العربية الإسلامية)، للدكتور/ نزار أباظة.
١٦- (صفحات من حضارة الإسلام "العلوم التطبيقية")، للدكتور/ عماد الدين خليل.
١٧- (دراسات في الحضارة الاسلامية)، إعداد الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية، بمصر.
١٨- (الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس)، للدكتور/ حسن علي حسن
١٩- (الحضارة العربية الإسلامية وموجز عن الحضارات السابقة)، للدكتور/ شوقي أبو خليل.
٢٠- (بحوث مشرقية ومغربية في التاريخ والحضارة الإسلامية)، للدكتورة/ سحر السيد سالم.
٢١- (دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية العربية)، للدكتور/ سعيد عاشور، وزميليه.
٢٢- (المسلمون وعلوم الحضارة)، للدكتور/ محمد الحبش.

ثالثا: أدلة القرآن الكريم والسنة النبوية:

لقد بنى أصحاب هذه الدعوى الباطلة فكرهم على مجموعة من التصورات الباطلة، أهمها: أن الدين الإسلامي – في زعمهم الباطل – كغيره من الأديان مجموعة من الروحانيات؛ التي لا علاقة لها بالعلم أو العمل أو الكسب أو الإنتاج؛ ولذا فإنه معوق للحياة، مانع من التقدم والازدهار وتحقيق الرفاهية؛ إذ لا يتضمن منهجا ولا أنظمة تقود الحياة، وتحقق الكفاية والرفاهية؛ وبناء عليه: يجب تنحيته جانبا، وقصره على دور العبادة فحسب، كما صنعت أوروبا، وكان ذلك سبب تقدُّمها.

ولهذا قال قائلهم:

"السبب الرئيس في انحطاط العالم الإسلامي هو دينه بالدرجة الأولى، الذي هو الإسلام". و: "هيمنة الدين تُذهِب الحضارة"، و: "لا يوجد شيء اسمه النظام الاقتصادي الإسلامي"، و: "النظام الاقتصادي الإسلامي ليس سوى وَهْمٌ كبير يعيش في أذهان دعاته"(١). ... الخ هذه الافتراءات.

وأقول: إن هذا النوع من الفكر كان موجها في أوربا إلى دين تدخلت فيه أيدي البشر فحرفته وبدلته وغيرته، حتى إنه لم يبق منه إلا الاسم، فصار في مجمله عملا بشريا لا يمكن بحال أن يتضمن منهجا يقود الحياة، فضلا عن أن يكون صالحا لكل زمان ومكان.

ولا يصح بحال أن يطبق هذا الفكر على القرآن الكريم؛ لأن البون شاسع للغاية، والجهة منفكة تماما، بين الدين الإسلامي وغيره من الأديان السماوية؛ فضلا عن الأديان الوضعية؛ لأنه النص المقدس الوحيد الذي لم تتدخل فيه يد البشر من قريب أو من بعيد؛ حيث تكفل الله تعالى بحفظه، وجعله دستورا للدين والدنيا إلى قيام الساعة. وهو النص المقدس الوحيد الكامل الشامل لكل جوانب الدين والدنيا، والصالح لكل زمان ومكان، وقد شهد بذلك من آمن به ومن لم يؤمن به.

يقول الله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، ويقول تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨].

والسنة النبوية الصحيحة صنو القرآن، حيث جعلها الله تعالى بيانا له؛ قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ

(١) تقدم توثيق هذه الأقوال جميعها.

يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [النحل: ٤٤]، وقال تعالى: ﴿ وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِي ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِۖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [النحل: ٦٤]، وقال تعالى: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْ ج [الحشر: ٧].

ويقول النبي صلى الله عليه وسلم تأكيدا لهذا البيان القرآني: «أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ، وَمِثْلَهُ مَعَهُ أَلَا يُوشِكُ رَجُلٌ شَبْعَانُ عَلَى أَرِيكَتِهِ يَقُولُ عَلَيْكُمْ بِهَذَا الْقُرْآنِ فَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَلَالٍ فَأَحِلُّوهُ، وَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَرَامٍ فَحَرِّمُوهُ، أَلَا لَا يَحِلُّ لَكُمْ لَحْمُ الْحِمَارِ الْأَهْلِيِّ، وَلَا كُلُّ ذِي نَابٍ مِنَ السَّبُعِ، وَلَا لُقَطَةُ مُعَاهِدٍ، إِلَّا أَنْ يَسْتَغْنِيَ عَنْهَا صَاحِبُهَا، وَمَنْ نَزَلَ بِقَوْمٍ فَعَلَيْهِمْ أَنْ يَقْرُوهُ فَإِنْ لَمْ يَقْرُوهُ فَلَهُ أَنْ يُعْقِبَهُمْ بِمِثْلِ قِرَاهُ»(١).

فالقرآن الكريم والسنة النبوية هما المصدران الأولان للتشريع في الإسلام، ومنهما – مع مصادر التشريع المعتمدة الأخرى المنبثقة عنهما – يتكون دستوره ومنهاجه، وقد تضمنا الأصول والقواعد والمبادئ التي توجب تحصيل العلم، وتوجب العمل، لتحقيق أعلى مستوى من الكفاية؛ بما يضمن الرقي والازدهار، والرخاء والنماء، وسعادة الإنسان في الدنيا والآخرة؛ وقد تحقق ذلك على أرض الواقع، وسعدت به أجيال المسلمين في عصورهم الزاهرة.

والرد المجمل من القرآن والسنة على تلك الدعوى الباطلة، يتمثل في النقاط الآتية:

(١) أخرجه أبو داود في سننه: كتاب: السنة، باب: في لزوم السنة: ٤/ ٢٠٠، ح(٤٦٠٤)، وقال الألباني: صحيح.

١ – الإسلام دين العلم:

وإذا نُسب العلم إلى الأديان، فإنما ينسب إلى الإسلام وحده؛ إذ لا يوجد دين أوجب طلب العلم، وشرَّفه وشرَّف أهله مثلما صنع الإسلام؛ والعلم أساس التقدم والازدهار في كل مجالات الحياة، وما بنى المسلمون تلك الحضارة العظيمة إلا بإيمانهم بتلك النصوص الكريمة وتقديسهم إياها، وتطبيقهم لها على أرض الواقع، وتاريخ الإسلام شاهد صدق، وآثار حضارته ما زالت موجودة، ولا ينكر ذلك إلا جاحد حاقد.

وهاكم بعض نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية التي هي المعتمد في بناء عقيدة الأمة الإسلامية، وتكوين وعيها.

– أما من القرآن الكريم:

– فيكفي في بيان ذلك أن أول آيات افتتح الله تعالى بها هذا الدين الحنيف كانت أمرا بالقراءة التي هي أساس العلم؛ قال تعالى: ﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ٥ ﴾ [العلق: ١ – ٥].

ولعمري، إن هذه الآيات الكريمة أقوى حجة وأعظم دليل على عناية الإسلام البالغة بالعلم وأهله من أول لحظة نزل فيها الوحي الإلهي، ومن هنا أصبح الإسلام دين العلم دون منافس أو مزاحم.

– وبين الله تعالى فضل العلم، وأمر نبيه صلى الله عليه وسلم والأمة من بعده بالاستزادة منه فقال تعالى: ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا ١١٤ ﴾ [طه: ١١٤].

قال الألوسي [ت ١٢٧٠هـ]: "واستدل بالآية على فضل العلم؛ حيث أُمر النبي صلى الله عليه وسلم بطلب زيادته، وما أمر عليه الصلاة والسلام بطلب الزيادة في شيء إلا العلم. وأخرج الترمذي وابن ماجه عن أبي هريرة

قال: كان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقول: «اللهم انفعني بما علمتني وعلمني ما ينفعني وزدني علما والحمد لله على كل حال»، وما هذا إلا لزيادة فضل العلم وفضله أظهر من أن يذكر"(١).

– وأمر الله تعالى المؤمنين بطلب العلم، وحثهم على التخصص فيه، فقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [التوبة: ١٢٢].

قال القرطبي [ت ٦٧١هـ]: "هذه الآية أصل في وجوب طلب العلم"(٢).

– وبين سبحانه شرف العلم وفضل العلماء فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾ [فاطر: ٢٨].

قال ابن كثير [ت ٧٧٤هـ]: "أي: إنما يخشاه حق خشيته العلماء العارفون به؛ لأنه كلما كانت المعرفة للعظيم القدير العليم الموصوف بصفات الكمال المنعوت بالأسماء الحسنى، كلما كانت المعرفة به أتم والعلم به أكمل كانت الخشية له أعظم وأكثر"(٣).

– وبين سبحانه فضل العلماء على الجهلاء، ونفى المساواة بين العالم والجاهل فقال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾﴾ [الزمر: ٩].

(١) روح المعاني: ٨/ ٥٧٧، ٥٧٨.
(٢) الجامع لأحكام القرآن: ٨/ ٢٩٣.
(٣) تفسير القرآن العظيم: ٦/ ٤٨٢.

– وأمر سبحانه وتعالى بتوجيه العقول إلى النظر والتأمل في النفس وفي الآفاق في هذا الكون العظيم، للتعرف على دلائل قدره تعالى، وإبداعه في مخلوقاته، فقال عز وجل: ﴿ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ ﴾ [العنكبوت: ٢٠]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَـَٔايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ ﴾ [البقرة: ١٦٤]، وقال تعالى: ﴿ وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ ﴾ [الرعد: ٤]، وقال تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ ﴾ [فصلت: ٥٣].

والآيات في هذا الباب كثيرة جدا ...

– وأما من السنة النبوية:

فيكفي في بيان ذلك قوله صلى الله عليه وسلم مبينا أهمية العلم وأن طلبه فريضة: (طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ)[1].

وقوله صلى الله عليه وسلم في الحث على طلب العلم، وبيان فضله وفضل حامله: (مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ فِيهِ عِلْمًا سَلَكَ اللَّهُ بِهِ طَرِيقًا مِنْ طُرُقِ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضًا لِطَالِبِ الْعِلْمِ، وَإِنَّ الْعَالِمَ

(١) أخرجه ابن ماجه في سننه: كتاب: الإيمان وفضائل الصحابة والعلم، باب: فضل العلماء والحث على طلب العلم: (١/ ٨١)، ح(٢٢٤)، وقال محققه: صحيح.

لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ، وَمَنْ فِي الْأَرْضِ، وَالْحِيتَانُ فِي جَوْفِ الْمَاءِ، وَإِنَّ فَضْلَ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ، كَفَضْلِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ، وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، وَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا، وَلَا دِرْهَمًا وَرَّثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ)[1].

هذه النصوص القرآنية والنصوص النبوية كانت ولا زالت المكوِّن الأول لعقيدة المسلمين ووعيهم في وجوب طلب العلم بكل فروعه، والتخصص والتنافس فيه، وبيان شرفه وشرف أهله، ويوم أن طبق المسلمون هذا المنهج ملؤا طباق الأرض علما وحضارة ورقيا؛ ولهذا فإن الادعاء بأن الدين الإسلامي هو سبب تخلف المسلمين في عصرنا ادعاء باطل من كل الوجوه، ولا يدعيه إلا حاقد أو جاهل.

٢- الإسلام دين العمل المتقن:

لقد أمر الاسلام بالعمل، وأمر بإتقانه وإحسانه، واهتم به اهتماما عظيما، وجعله من العبادة إذا خلصت النية فيه، ولا يوجد دين على وجه الأرض جعل العمل جزءا من عقيدة أبنائه مثلما صنع الإسلام. ولا ريب أن العمل أساس الإنتاج، وأن الإنتاج أساس الاقتصاد القوي، وأن الاقتصاد القوي أساس الحياة الرغيدة الهنيئة.

ونصوص القرآن والسنة ناطقة بذلك، مؤكدة عليه، وهي التي كونت المنهج العظيم الذي طبقه المسلمون في أرض الواقع، فبنوا حضارة أذهلت الدنيا، نسأل الله تعالى أن يعين المسلمين على إعادة مجدها مرة أخرى، وما ذلك على الله بعزيز.

(١) أخرجه أبو داود في سننه: كتاب العلم، باب الحث على طلب العلم: (٣/ ٣١٧)، ح(٣٦٤١)، عن أبي الدرداء رضي الله عنه، وقال محققه: صحيح.

- أما من القرآن الكريم:

- فقوله تعالى: ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ١٠ ﴾ [الجمعة: ١٠]؛ حيث أعلى الله تعالى من شأن العمل، حين أمر بالانتشار في الأرض والابتغاء من فضله عز وجل بعد انتهاء الصلاة مباشرة، ليعلي بذلك من قيمة العمل ومنزلته في الإسلام، وأنه لا مجال للكسل أو التواكل، أو حتى الانقطاع للعبادة وترك العمل.

- وقوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ ذَلُولٗا فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦۖ وَإِلَيۡهِ ٱلنُّشُورُ ١٥ ﴾ [الملك: ١٥]؛ حيث امتن الله تعالى على عباده بتذليل الأرض لهم، وأمرهم بالمشي في مناكبها، طلبا للرزق، و(مناكبها): "أطرافها وفجاجها ونواحيها"[1]. وهذا أمر صريح بالعمل، "وفي الآية تذكير بنعمته تعالى على خلقه في تسخيره لهم الأرض، وتذليله إياها لهم، بأن جعلها قارة ساكنة لا تميد ولا تضطرب بما جعل فيها من الجبال، وأنبع فيها من العيون، وسلك فيها من السبل، وهيأ فيها من المنافع ومواضع الزروع والثمار، والمعنى: سافروا حيث شئتم من أقطارها، وترددوا في أقاليمها وأرجائها، في أنواع المكاسب والتجارات"[2].

- وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ مَنۡ أَحۡسَنَ عَمَلًا ٣٠ ﴾ [الكهف: ٣٠]؛ حيث حث الله تعالى على إتقان العمل وإحسانه، ووعد عليه بالمجازاة عليه.

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ٨/ ٢٠٠.

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ٨/ ١٩٩، بتصرف يسير.

قال الواحدي [ت ٤٦٨هـ]: "أي: لا نترك أعمالهم تذهب ضياعا، بل نجازيهم على الأعمال الصالحة"(١).

- وقوله تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [النحل: ٩٧]. والعمل في الآية ليس مقصورا على العبادة، وإنما هو شامل لها ولكل عمل مشروع؛ قال ابن كثير: "وهذا وعد من الله تعالى لمن عمل عملا صالحا مشروعا متابعا لكتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، من ذكر أو أنثى، وهو مؤمن بالله ورسوله، بأن يحييه الله حياة طيبة في الدنيا، وأن يجزيه بأحسن ما عمله في الآخرة، والحياة الطيبة تشمل وجوه الراحة من كل الجهات"(٢).

- وإعلاء لقيمة العمل ومنزلته عند الله تعالى أمر سبحانه الأنبياء - عليهم السلام - بالعمل؛ حيث قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ ﴾ [المؤمنون: ٥١].

- وأخبر سبحانه عن مهن وعمل بعض الأنبياء، حيث قال تعالى عن نوح عليه السلام: ﴿ فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا ﴾ [المؤمنون: ٢٧]، وقال تعالى عن داود عليه السلام: ﴿ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ ۖ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾ ﴾ [سبأ: ١١].

- وأما من السنة النبوية:

(١) التفسير البسيط للواحدي: ٣/ ١٤٧.

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ٤/ ٥١٦، بتصرف يسير.

– فقوله صلى الله عليه وسلم: «مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ، خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ، وَإِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ»(١).

وفيه بيان لقيمة العمل في الإسلام، وأن الإسلام ليس دين الكسل أو التواكل.

– وقوله صلى الله عليه وسلم: «لَأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ حَبْلَهُ، فَيَأْتِيَ بِحُزْمَةِ الحَطَبِ عَلَى ظَهْرِهِ، فَيَبِيعَهَا، فَيَكُفَّ اللَّهُ بِهَا وَجْهَهُ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ النَّاسَ أَعْطَوْهُ أَوْ مَنَعُوهُ»(٢). وقوله صلى الله عليه وسلم: «مَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَسْأَلُ النَّاسَ، حَتَّى يَأْتِيَ يَوْمَ القِيَامَةِ لَيْسَ فِي وَجْهِهِ مُزْعَةُ لَحْمٍ»(٣).

وفيهما أمر بالعمل، وتحذير من التواكل والكسل، ومن مسألة الناس.

– وعن كعب بن عُجْرَةَ قال: (مَرَّ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلٌ، فَرَأَى أَصْحَابُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ جَلَدِهِ ونَشَاطِهِ مَا أَعْجَبَهُمْ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَوْ كَانَ هَذَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنْ كَانَ خَرَجَ يَسْعَى عَلَى وَلَدِهِ صِغَارًا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَإِنْ خَرَجَ يَسْعَى عَلَى أَبَوَيْنِ شَيْخَيْنِ كَبِيرَيْنِ فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَإِنْ

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب: البيوع، باب: كسب الرجل وعمله بيده: ٣/ ٥٧، ح(٢٠٧٢).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب: الزكاة، باب: الاستعفاف عن المسألة: ٢/ ١٢٣، ح(١٤٧١).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب: الزكاة، باب: الاستعفاف عن المسألة: ٢/ ١٢٣، ح(١٤٧٤)..

كَانَ يَسْعَى عَلَى نَفْسِهِ يَعِفُّها فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَإِنْ كَانَ خَرَجَ رِيَاءً وتَفَاخُرًا فَهُوَ فِي سَبِيلِ الشَّيْطَانِ»(١).

وفيه بيان لقيمة العمل في الإسلام، وأنه إن خلصت النية فيه صار بمنزلة العبادة، وأثاب الله فاعله.

– وقوله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُحِبُّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلًا أَنْ يُتْقِنَهُ»(٢). وفيه بيان لأهمية إتقان العمل في الإسلام، فإذا كان الله تعالى يحب من يتقن عمله؛ فإنه عز وجل لا يحب من لا يتقن عمله.

٣– الإسلام يوازن بين الروح والمادة:

ومما يبطل تلك الدعوى أيضا: أن رسالة الإسلام جاءت بمنهج عظيم يحقق أعلى درجات الكفاية من الحاجات الروحية، ومن الحاجات المادية، ووازنت بينهما، حتى لا يطغى جانب منهما على الآخر؛ ولقد كان هذا المنهج العظيم والذي لا يوجد في غير دين الإسلام ركنا أصيلا من أركان قيام الحضارة الإسلامية.

فالإسلام ليس مجموعة من الروحانيات، كما أنه ليس دينا ماديا، لكنه الدين الوحيد الذي جمع بينهما في تناغم وتوافق لا نظير له في غيره.

– يقول الله تعالى: ﴿ وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ ﴾ [القصص: ٧٧].

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط: ٧/ ٥٦، ح(٦٨٣٥)، وصححه الألباني في صحيح الجامع: ١/ ٣٠١، ح(١٤٢٨).

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط: ١/ ٢٥٧، ح(٨٩٧)، وصححه الألباني في صحيح الجامع: ١/ ٣٨٣، ح(١٨٨٠).

"أي: استعمل ما وهبك الله من هذا المال الجزيل والنعمة الطائلة في طاعة ربك والتقرب إليه بأنواع القربات، التي يحصل لك بها الثواب في الدنيا والآخرة، ولا تنس نصيبك من الدنيا: أي مما أباح الله فيها من المآكل والمشارب والملابس والمساكن والمناكح، فإن لربك عليك حقا، ولنفسك عليك حقا، ولأهلك عليك حقا، ولزَوْرِك[1] عليك حقا، فآت كل ذي حق حقه"[2].

– ويقول الله تعالى: ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾ ﴾ [النور: ٣٦ – ٣٨].

وفي هذه الآيات الكريمة توجيه إلهي في صورة مدح؛ حيث يمدح الله تعالى المؤمنين الذين يوازنون بين العمل للآخرة والعمل للدنيا، فهم مع حرصهم على العمل والتجارة لا ينشغلون بهما عن العبادة، فيعطون لكل جانب من الروح والمادة حقه، دون أن يطغى جانب على آخر.

– وفي توجيه النبي صلى الله عليه وسلم للصحابة الذين أرادوا التشدد في العبادة على حساب حقوق أبدانهم خير دليل وشاهد على منهج الإسلام في التوازن بين حاجات الروح وحاجات المادة:

فعن أنس رضي الله عنه قال: (جَاءَ ثَلَاثَةُ رَهْطٍ إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا، فَقَالُوا: وَأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، قَالَ أَحَدُهُمْ: أَمَّا أَنَا فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ

(١) الزَّوْرُ: الزائرُ، ينظر: لسان العرب: ٤/ ٣٣٦، مادة (زور).

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ٦/ ٢٢٨.

أَبَدًا، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلاَ أُفْطِرُ، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلاَ أَتَزَوَّجُ أَبَدًا، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ: «أَنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا، أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي»(١).

"وَلَمَّحَ النبي صلى الله عليه وسلم بذلك إلى طريق الرهبانية، فإنهم الذين ابتدعوا التشديد كما وصفهم الله تعالى، وقد عابهم بأنهم ما وفُّوه بما التزموه، وطريقة النبي صلى الله عليه وسلم الحنيفية السمحة؛ فيفطر ليتقوى على الصوم، وينام ليتقوى على القيام، ويتزوج لكسر الشهوة وإعفاف النفس وتكثير النسل"(٢).

*****

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب: النكاح، باب: الترغيب في النكاح: ٧/ ٢، ح(٥٠٦٣).

(٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، لابن حجر: ٩/ ١٠٥.

المبحث الرابع

السبب الحقيقي في تخلف المسلمين

ظهر مما سبق بطلان الدعوى القائلة بأن التمسك بالدين الإسلامي هو السبب فيما أصاب كثير من المسلمين من تخلف في عصرنا، وظهر أيضا: أن التمسك بالدين الإسلامي كان السبب الأول في قيام الحضارة الإسلامية وازدهارها لعدة قرون، وأنه برئ مما أصاب المسلمين في عصرنا من تأخر وتخلف عن ركب الحضارة.

وقد أجمل بعض المعاصرين عناصر معيار الحكم بالتقدم أو التخلف فقال: "إن معيار التقدم والتخلف يتضمن ثلاثة عناصر أساسية:

أولها: وجود الموارد الطبيعية الملائمة.

وثانيها: وجود القيم التي تضمن بصفة مستمرة تفاعل الجهد البشري مع الموارد، ومن ثم دوام عملية الإشباع المتزايد للحاجات.

وثالثها: وجود الجهد البشري الفعال الذي يتعامل مع تلك الموارد، ويحيلها إلى منتجات نافعة...

وإذا تواجدت تلك العناصر مجتمعة، يعد المجتمع مجتمعاً متقدماً، أو بالتعبير القرآني مجتمعاً يحيا حياة طيبة، يجمع بين رغد العيش واطمئنان النفس، وإذا تخلف عنصر من تلك العناصر فَقَدَ المجتمع طيب الحياة"[1].

قلت:

– **أما الموارد الطبيعية:** فالعقيدة الإسلامية على أنها موجودة وكافية إلى قيام الساعة؛ ذلك أن الله تعالى أودع في الأرض كل ما يحتاجه الخلق، وتكفل برزقهم جميعا، وفق الأسباب والسنن الإلهية التي أودعها في كونه؛

(١) تمويل التنمية في الاقتصاد الإسلامي، للدكتور/ شوقي دنيا: ص٣٤، ٤٧، بتصرف.

قال تعالى: ﴿ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ ﴿١٠﴾ ﴾ [فصلت: ٩، ١٠]، وقال تعالى: ﴿ ۞ وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾ ﴾ [هود: ٦].

– **وأما القيم** التي تضمن بصفة مستمرة تفاعل الجهد البشري مع الموارد: فهي موجودة أيضا، وباقية إلى قيام الساعة؛ لأنها عقيدة الأمة المستمدة من الأصلين: القرآن الكريم والسنة النبوية.

– **وأما الجهد البشري الفعال** الذي يتعامل مع تلك الموارد، ويحيلها إلى منتجات نافعة: فلا شك أنه أحد أسباب التخلف ومواطن الخلل.

– ويضاف إليه السبب الرئيس المباشر وهو:

تفريط كثير من المسلمين في التمسك بقيم الإسلام ومبادئه، في شتى مجالات الدين والحياة، مع علمهم بأن التمسك بها كان العامل الرئيس في قيام الحضارة الإسلامية عدة قرون.

– وقد قصَّ الله تعالى علينا في كتابه الكريم قصصا لبعض الأمم التي كانت تتقلب في نعمه عز وجل؛ فلما حادت عن الطرق القويم سُلبت منها تلك النعم، وتخلفت، ورجعت القهقرى.

يقول الله تعالى: ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾ [النحل: ١١٢].

ويقول تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ ۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ ۖ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ ۚ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ

ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُوا۟ ۖ وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ﴿١٧﴾ ﴾ [سبأ: ١٥ – ١٧].

ويقول تعالى: ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍۭ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا ۖ فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥٨﴾ ﴾ [القصص: ٥٨].

ويقول تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [الأنعام: ٤٢ – ٤٥].

– وحتى لا نقع في مثل ما وقعوا فيه أمرنا الله تعالى بالنظر في أحوالهم وأخذ العبرة من قصصهم، ومن سننه عز وجل فيهم؛ حيث قال تعالى: ﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾ هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾ ﴾ [آل عمران: ١٣٧، ١٣٨].

وقال تعالى: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾ ﴾ [النساء: ٢٦].

– وإن ما حل بالأمة الإسلامية من تخلف إنما هو بسبب بعدهم عن منهج الله تعالى، وقد بين الله تعالى أن الجزاء من جنس العمل؛ حيث قال تعالى: ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ [الروم: ٤١].

وقال تعالى: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الشورى: ٣٠].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾ ﴾ [آل عمران: ١٥٥].

وقال تعالى: ﴿ أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾ ﴾ [آل عمران: ١٦٥].

وقد أرشدنا الله تعالى إلى أول مراحل تغيير حال الأمة؛ وهو أن يبدأ التغيير من الأنفس؛ حيث قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾ ﴾ [الأنفال: ٥٣].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴿١١﴾ ﴾ [الرعد: ١١].

وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

وقد لخص أحد المعاصرين السبب فيما حل بالأمة الإسلامية فقال:

"فمنذ زمن بعيد قد يمتد إلى خمسة قرون أو ستة فك الكثير من المسلمين الارتباط بين الإيمان ومقتضياته العملية، وراحوا يتعاملون معه برؤية إرجائية تكتفي بالحد الأدنى، وتعزل العبادة عن فاعليتها في الأرض، أي أنهم مارسوا حالة معكوسة، فحيث أراد الدين الإسلامي أن يضعهم في بؤرة الفاعلية، وأن يجعلهم حاضرين في دائرة الفعل والإبداع، اختاروا هم أن ينسحبوا شيئاً فشيئاً، وأن يتركوا الفاعلية لغيرهم، وأن يتحولوا بمرور الوقت إلى كَمٍّ لا يملك قدرة حقيقية على الصيرورة والتنامي، وبالتالي لا يملك ثقله في مجابهة التحديات التي راحت تتداعى عليه من كل جانب، حتي وصلت الأمة إلى الهزيمة المؤكدة على أكثر من مستوى، وهو ما حذر منه رسول

الله صلى الله عليه وسلم في حديثه الشريف، عن ثوبان رضي الله عنه: (يُوشِكُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمُ الْأُمَمُ مِنْ كُلِّ أُفُقٍ كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ عَلَى قَصْعَتِهَا، قَالَ: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، أَمِنْ قِلَّةٍ بِنَا يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنْ تَكُونُونَ غُثَاءً كَغُثَاءِ السَّيْلِ، تُنْتَزَعُ الْمَهَابَةُ مِنْ قُلُوبِ عَدُوِّكُمْ، وَيَجْعَلُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ، قَالَ: قُلْنَا: وَمَا الْوَهْنُ؟ قَالَ: حُبُّ الْحَيَاةِ وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ)[1].

ومع هذا الموقف الإرجائي[2] سادت روح التقليد والابتداع بدلاً من روح التجديد والاجتهاد والإبداع التي وضعت الأمة الإسلامية في الصدارة بين الأمم عبر القرون الإسلامية الأولى، وذلك بسبب قدرتها على الكشف والابتكار والإضافة النوعية والبحث عن التجديد في السياقات الحياتية والمعرفية كافة" أ.هـ[3].

هذا، وأسأل الله تعالى أن يعيد للأمة الإسلامية سالف عهدها ومجدها، وأن يردنا إليه ردا جميلا، إنه تعالى ولي ذلك والقادر عليه.

*****

(١) أخرجه أحمد في المسند: (٣٧/ ٨٢)، ح(٢٢٣٩٧)، وقال محققه: إسناده حسن.

(٢) هو ما عناه المؤلف بقوله في أول كلامه: "الاكتفاء بالحد الأدنى من الإيمان – أي مجرد التصديق القلبي فقط –، وعزل العبادة عن فاعليتها في الأرض". وللاستزادة: تراجع هذه القضية في كتاب: (تسرب المفاهيم الإرجائية في الواقع المعاصر، للدكتور/ سعد العتيبي) فقد أوسعها شرحا وتحليلا.

(٣) صفحات من حضارة الإسلام العلوم التطبيقية للدكتور/ عماد الدين خليل: ص ١٧٧.

الخـــاتمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد،

فقد انتهيت بحمد الله تعالى من هذا البحث، وكان من أهم نتائجه:

١- أن دعوى تخلف المسلمين بسبب تمسكهم بالدين دعوى باطلة، ولا حجة للقائلين بها.

٢- أن القائلين بهذه الدعوى قوم لا حظ لهم من العلم، قوم مهزومون فكريا، مفتونون بحضارة الغرب فتنة عمياء، أحالتهم إلى أبواق تردد ما لا تفهم وتهرف بما لا تعرف.

٣- ثبت بالدليل القاطع سقوط هذه الدعوى أمام حقائق التاريخ وشواهد الواقع، وشهادات المنصفين من المستشرقين، وأدلة القرآن الكريم والسنة النبوية، على ما سبق بيانه في مواضعه من البحث.

٤- أن السبب الحقيقي في قيام حضارة المسلمين في عصوره الزاهرة هو تمسكهم بمنهج الإسلام وتطبيقه في كل جوانب الحياة، وأن السبب الحقيقي في تخلف كثير من الشعوب الإسلامية في عصرنا هو تفريطهم في التمسك بمنهج الإسلام وتطبيقه في شتى مجالات الدين والحياة، والذي نتج عنه ضعف الجهد البشري الفعال الذي يستثمر الموارد التي سخرها الله تعالى للإنسان، ويبني بها الحضارة والتقدم والرقي.

٥- لا يجوز الخلط بين الإسلام وبين الواقع المتدني لكثير من الشعوب الإسلامية المعاصرة، والأمانة العلمية تقتضي أن يكون الحكم على حال المسلمين مبنيًّا على دراسة منصفة لأصول الإسلام ومبادئه، لا على اتهامات وأحكام مسبقة لا علاقة لها بالحقيقة

وأخيــرا: أوصــي المتخصصـين فــي العقيـدة الإسـلامية بمزيـد مـن الدراسات والبحوث التي تفند مزاعم المذاهب والتيارات الفكرية المعاصرة التي تطعن في الإسلام، وتبين المنهج الصحيح الذي قام عليه الإسلام؛ خدمة للدين، وحماية لشباب الأمة من الانزلاق في متاهات هذه الأفكار والمفاهيم الضالة.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

*****

المصادر والمراجع

أولا: الكتب:

١) تاريخ الصيدلة، د/ صابر جبرة، ط/ مؤسسة هنداوي، بالقاهرة، ٢٠١٧م.

٢) تاريخ الصيدلة والعقاقير في العهد القديم والعصر الوسيط، جورج قنواتي، ط/ مؤسسة هنداوي، بالقاهرة، ٢٠١٩م.

٣) التخلف في البلدان النامية الواقع والتحديات، د/ خالد مصطفى، وزميله، بحث منشور بمجلة المعرفة، بكلية العلوم الإدارية والمالية، جامعة الزيتونة، ليبيا، عدد (٣)، ٢٠١٦م.

٤) التخلف والتنمية في الاقتصاد الإسلامي، أ/ أحمد عواد إسماعيل، وزميلته، بحث منشور بمجلة سُرَّ مَنْ رأى، بكلية التربية، بجامعة سامراء، بالعراق، المجلد (٧)، العدد: (٢٥) السنة السابعة، ٢٠١١م.

٥) التفسير البسيط، للواحدي، ط/ عمادة البحث العلمي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٣٠هـ

٦) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ط/ دار طيبة للنشر والتوزيع، الثانية ١٩٩٩م.

٧) التفسير الوسيط، لمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، ط/ الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، ١٩٩٣م.

٨) تقرير عن المؤتمر الدولي الثامن للإعجاز بمدينة تطوان والمالية الإسلامية بمدينة برشلونة، للدكتور/ محمد بورباب، منشور بمجلة الاقتصاد الإسلامي العالمية، العدد ٨٤، ٢٠١٩م.

٩) تمويل التنمية في الاقتصاد الإسلامي، دراسة مقارنة، للدكتور/ شوقي دنيا، ط/ مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٤م.

١٠) الجامع لأحكام القرآن: للإمام القرطبى، ط/ دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٦٤م.

١١) حضارة العرب، للمستشرق (غوستاف لوبون)، ط/ مؤسسة هنداوي، بالقاهرة، ٢٠١٢م.
١٢) حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، للدكتور/ عبد الصبور مرزوق، وآخرين، ط/ المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، بمصر، ٢٠٠٢م.
١٣) روح المعاني للإمام الألوسي، ط/ دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ.
١٤) سقوط العالم الإسلامي، نظرة في مستقبل أمة تحتضر، لحامد عبد الصمد، ط/ دار سطور للنشر والتوزيع، بالعراق، ٢٠١٦م
١٥) سنن ابن ماجه، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، ط/ إحياء الكتب العربية، بيروت، بدون تاريخ.
١٦) سنن أبي داود، ت: شعَيب الأرناؤوط، ط/ دار الرسالة العالمية، ٢٠٠٩م.
١٧) الشفا بتعريف حقوق المصطفى صلى الله عليه وسلم، للقاضي عياض، ط/ دار الفيحاء، عمان، ١٤٠٧هـ
١٨) صحيح الإمام البخاري، ت: د/ محمد زهير، ط/ دار طوق النجاة، الأولى، ١٤٢٢هـ.
١٩) صفحات من حضارة الإسلام العلوم التطبيقية للدكتور/ عماد الدين خليل، بحث منشور بمجلة كلية التربية، بجامعة الموصل بالعراق، بدون تاريخ.
٢٠) العلم في تَجَلٍّ، مفهوم العلم في الإسلام في القرون الوسطى، للمستشرق: (فرانز روزنتال)، ترجمة يحيى القعقاع، ط/ المركز العربي للأبحاث، بالدوحة، ٢٠١٩م.
٢١) العلمانية المعاصرة وموقفها من الوحي الإلهي، دراسة نقدية، للدكتور/ محمود حربي، بحث منشور بمجلة كلية الدراسات الإسلامية للبنين بأسوان، بمصر، العدد الرابع، يونيو ٢٠٢١م.

٢٢) العلمانية وخطرها على المجتمعات الإسلامية، للدكتور جمال خليفة، بحث منشور بمجلة كلية الدراسات الإسلامية للبنين بأسوان، بمصر، العدد الرابع، يونيو ٢٠٢١م،
٢٣) العلمانية وموقف الإسلام منها، للدكتور/ أحمد مصطفى علي، بحث منشور بمجلة البيان بكلية الدراسات الإسلامية والعربية بقنا، بمصر، ٢٠٠١م.
٢٤) العلوم عند المسلمين للمستشرق (هاوارد تيرنر)، ترجمة: فتح الله الشيخ، ط/ المجلس الأعلى للثقافة، بمصر، ٢٠٠٤م.
٢٥) عملية تكوين المهارات ودورها في التنمية الاقتصادية في العراق، د/ فليح حسن خلف، ط/ دار الرشيد، بالعراق، ١٩٨٠م.
٢٦) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني، ط/ دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ.
٢٧) قصة الحضارة، للمستشرق (ويليام جيمس ديورَانت)، ترجمة الدكتور/ زكي نجيب محمُود وآخرين، ط/ دار الجيل، بيروت، ١٩٨٨م.
٢٨) لسان العرب، لابن منظور، ط/ دار صادر، بيروت، بدون تاريخ.
٢٩) مسند الإمام أحمد بن حنبل، ت: شعيب الأرناؤوط، ط/ مؤسسة الرسالة، بيروت، ٢٠٠١م.
٣٠) المصارف الإسلامية وسلامتها من الأزمات ودورها في تجنيب البلاد الإسلامية آثارها السلبية، دراسة تطبيقية على الأزمة المالية العالمية المعاصرة، للدكتور/ راشد بن أحمد العليوي، بحث منشور بالمؤتمر العلمي الدولي حاجة العالم إلى تفعيل دور الاقتصاد والتمويل الإسلامي في التنمية، بجامعة الإسكندرية، بالتعاون مع رابطة الجامعات الإسلامية، ٢٠١٨م.
٣١) المعجم الاشتقاقي المؤصل، د/ محمد حسن جبل، ط/ مكتبة الآداب، القاهرة، ٢٠١٠م.

٣٢) المعجم الأوسط للطبراني ت: طارق بن عوض الله، ط/ دار الحرمين، القاهرة.

٣٣) معجم اللغة العربية المعاصرة، د/ أحمد مختار عمر، ط/ عالم الكتب، بيروت، ٢٠٠٨م.

ثانيا: المقالات:

٣٤) خدعة اسمها النظام الاقتصادي الإسلامي، مقال للكاتب/ بابكر فيصل بابكر، منشور بتاريخ: ٢٢/ ١/ ٢٠١٨م. https://2u.pw/QDMJ561

٣٥) من زاوية أخرى زيارة جديدة لموضوع الاقتصاد الإسلامي، مقال للكاتب/ بابكر فيصل بابكر، منشور بتاريخ: ١٠/ ٤/ ٢٠١٩م. https://n9.cl/my9ai

٣٦) من أسباب تخلف المجتمع الإسلامي في نظر بعض المستشرقين، مقال منشور على موقع مجلة دعوة الحق الصادرة عن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، بالمملكة المغربية، العدد ١٦٢. https://2u.pw/BxWqXhL

٣٧) هل الإسلام مسؤول عن تخلف المسلمين؟ مقال للكاتب (دانيال باكس)، تحقيق حول كتاب: (دار الإسلام المتهاوية) للكاتب: (رُود كوبمانس)، ترجمة: صهيب زمال، منشور بتاريخ: ٤/ ٤/ ٢٠٢٠م، ى https://qantara.de/ar/node/8665

٣٨) هيمنة الدين تُذهِب الحضارة، مقال للكاتب/ عمران سلمان، منشور بتاريخ: ٢٧/ ٥/ ٢٠٢٢م. https://bitly.ws/38gaQ

*****

References :

aola: alktb:

1) tary5 alsydla ،d/ sabr gbra ،6/ m2ssa hndaoy ،bal8ahra ، 2017m.
2) tary5 alsydlawal38a8yr fy al3hd al8dymwal3sr alosy6 ، gorg 8noaty ،6/ m2ssa hndaoy ،bal8ahra ،2019m.
3) alt5lf fy albldan alnamya aloa83walt7dyat ،d/ 5ald ms6fy،wzmylh ،b7th mnshor bmgla alm3rfa ،bklya al3lom al edaryawalmalya ،gam3a alzytona ،lybya ،3dd (3) ،2016m.
4) alt5lfwaltnmya fy ala8tsad al eslamy ،a/ a7md 3oad esma3yl،wzmylth ،b7th mnshor bmgla sṛ̊mn̊ray ،bklya altrbya ،bgam3a samra2 ،bal3ra8 ،almgld (7) ،al3dd: (25) alsna alsab3a ،2011m.
5) altfsyr albsy6 ،lloa7dy ،6/ 3mada alb7th al3lmy ،gam3a al emam m7md bn s3od al eslamya ،1430h-
6) tfsyr al8ran al3zym ،labn kthyr ،6/ dar 6yba llnshrwaltozy3 ،althanya 1999m.
7) altfsyr alosy6 ،lmgm3 alb7oth al eslamya balazhr ،6/ alhy2a al3ama lsh2on alm6ab3 alamyrya ،1993m.
8) t8ryr 3n alm2tmr aldoly althamn ll e3gaz bmdyna t6oanwalmalya al eslamya bmdyna brshlona ،lldktor/ m7md borbab ،mnshor bmgla ala8tsad al eslamy al3almya ،al3dd 84 ،2019m.
9) tmoyl altnmya fy ala8tsad al eslamy ،drasa m8arna ، lldktor/ sho8y dnya ،6/ m2ssa alrsala ،byrot ،1984m.
10) algam3 la7kam al8ran: ll emam al8r6b–y ،6/ dar alktb almsrya ،al8ahra ،1964m.
11) 7dara al3rb ،llmstshr8 (ghostaf lobon) ،6/ m2ssa hndaoy ،bal8ahra ،2012m.
12) 78a28 al eslam fy moagha shbhat almshkkyn ،lldktor/ 3bd alsbor mrzo8،wa5ryn ،6/ almgls ala3ly llsh2on al eslamya ،bmsr ،2002m.
13) ro7 alm3any ll emam alalosy ،6/ dar alktb al3lmya ، byrot ،1415h-.

14) s8o6 al3alm al eslamy ،nzra fy mst8bl ama t7tdr ،l7amd 3bd alsmd ،6/ dar s6or llnshrwaltozy3 ،bal3ra8 ،2016m
15) snn abn magh ،t: m7md f2ad 3bd alba8y ،6/ e7ya2 alktb al3rbya ،byrot ،bdon tary5.
16) snn aby daod ،t: sh3ýb alarna2o6 ،6/ dar alrsala al3almya ،2009m.
17) alshfa bt3ryf 78o8 alms6fy sly allh 3lyhwslm ،ll8ady 3yad ،6/ dar alfy7a2 ،3man ،1407h-
18) s7y7 al emam alb5ary ،t: d/ m7md zhyr ،6/ dar 6o8 alngaa ،alaoly ،1422h-.
19) sf7at mn 7dara al eslam al3lom alt6by8ya lldktor/ 3mad aldyn 5lyl ،b7th mnshor bmgla klya altrbya ،bgam3a almosl bal3ra8 ،bdon tary5.
20) al3lm fy tǵlٍ̈،mfhom al3lm fy al eslam fy al8ron alos6y ، llmstshr8: (franz rozntal) ،trgma y7yy al838a3 ،6/ almrkz al3rby llab7ath ،baldo7a ،2019m.
21) al3lmanya alm3asrawmo8fha mn alo7y al elhy ،drasa n8dya ،lldktor/ m7mod 7rby ،b7th mnshor bmgla klya aldrasat al eslamya llbnyn basoan ،bmsr ،al3dd alrab3 ، yonyo 2021m.
22) al3lmanyaw56rha 3la almgtm3at al eslamya ،lldktor gmal 5lyfa ،b7th mnshor bmgla klya aldrasat al eslamya llbnyn basoan ،bmsr ،al3dd alrab3 ،yonyo 2021m ،
23) al3lmanyawmo8f al eslam mnha ،lldktor/ a7md ms6fy 3ly ،b7th mnshor bmgla albyan bklya aldrasat al eslamyawal3rbya b8na ،bmsr ،2001m.
24) al3lom 3nd almslmyn llmstshr8 (haoard tyrnr) ،trgma: ft7 allh alshy5 ،6/ almgls ala3ly llth8afa ،bmsr ،2004m.
25) 3mlya tkoyn almharatwdorha fy altnmya ala8tsadya fy al3ra8 ،d/ fly7 7sn 5lf ،6/ dar alrshyd ،bal3ra8 ،1980m.
26) ft7 albary bshr7 s7y7 alb5ary ،labn 7gr al3s8lany ،6/ dar alm3rfa ،byrot ،1379h-.
27) 8sa al7dara ،llmstshr8 (oylyam gyms dyorǻnt) ،trgma aldktor/ zky ngyb m7mo̓dwa5ryn ،6/ dar algyl ،byrot ، 1988m.

28) lsan al3rb ،labn mnzor ،6/ dar sadr ،byrot ،bdon tary5.
29) msnd al emam a7md bn 7nbl ،t: sh3yb alarna2o6 ،6/ m2ssa alrsala ،byrot ،2001m.
30) almsarf al eslamyawslamtha mn alazmatwdorha fy tgnyb alblad al eslamya atharha alslbya ،drasa t6by8ya 3la alazma almalya al3almya alm3asra ،lldktor/ rashd bn a7md al3lyoy ،b7th mnshor balm2tmr al3lmy aldoly 7aga al3alm ely tf3yl dor ala8tsadwaltmoyl al eslamy fy altnmya ،bgam3a al eskndrya ،balt3aon m3 rab6a algam3at al eslamya ،2018m.
31) alm3gm alasht8a8y alm2sl ،d/ m7md 7sn gbl ،6/ mktba aladab ،al8ahra ،2010m.
32) alm3gm alaos6 ll6brany t: 6ar8 bn 3od allh, 6/ dar al7rmyn ،al8ahra.
33) m3gm allgha al3rbya alm3asra ،d/ a7md m5tar 3mr ،6/ 3alm alktb ،byrot ،2008m.

thanya: alm8alat:

34) 5d3a asmha alnzam ala8tsady al eslamy ،m8al llkatb/ babkr fysl babkr ،mnshor btary5: 22/ 1/ 2018m. https://2u.pw/qdmj561
35) mn zaoya a5ry zyara gdyda lmodo3 ala8tsad al eslamy ، m8al llkatb/ babkr fysl babkr ،mnshor btary5: 10/ 4/ 2019m. https://n9.cl/my9ai
36) mn asbab t5lf almgtm3 al eslamy fy nzr b3d almstshr8yn ،m8al mnshor 3la mo83 mgla d3oa al78 alsadra 3nwzara alao8afwalsh2on al eslamya ، balmmlka almghrbya ،al3dd 162. https://2u.pw/bxwqxhl
37) hl al eslam ms2ol 3n t5lf almslmyn؟ m8al llkatb (danyal baks) ،t78y8 7ol ktab: (dar al eslam almthaoya) llkatb: (rṓd kobmans) ،trgma: shyb zmal ،mnshor btary5: 4/ 4/ 2020m ،y https://qantara.de/ar/node/8665
38) hymna aldyn tźhb al7dara ،m8al llkatb/ 3mran slman ، mnshor btary5: 27/ 5/ 2022m. https://bitly.ws/38gaq